الدولة الزيدية فى طبرستان
وجرجان وبلاد الديلم
(٢٥٠ - ٣١٦هـ)

اعداد
دكتور/ على محمد على البتانونى
مدرس التاريخ الإسلامى
كلية الآداب - جامعة القاهرة - فرع الخرطوم

١٤١١هـ/ ١٩٩١م

محتويات البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديمة:

الحمد لله الذى خلق فسوى، والذى قدر فهدى، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين. وبعد: فإن تفكيرى فى الكتابة فى هذا الموضوع يرجع إلى أننى كنت أقرأ فكر الزيدية فى الإمامة، ثم أعود فأقرأ فى كتب التاريخ نتفاً صغيرة عن الدولة الزيدية فى طبرستان التى قامت على أساس الفكر الزيدى، ففكرت وأطلت التفكير لعلى أجمع كتاباً يجمع بين التاريخ وفكر الزيدية السياسى يعطى صورة وافية حقيقية لهذه الدولة .

وقد شجعنى على كتابة هذا البحث أنه لم يقع نظرى على بحث شامل جامع لهذا الموضوع، اللهم إلا شذوراً مبعثرة هنا وهناك فى بطون بعض الكتب العربية لهذا آليت على نفسى أن أكمل هذا النقص، وأن أستعين بالمادة التاريخية التى خلفها المؤرخون.

ولقد توخيت فى أسلوبه سهولة العبارة وسلامة التعبير ووضوح المعنى والتحليل الدقيق، وتنكبت فيه الأسهاب الممل، والايجاز المخل وقد قسمت البحث إلي أربعة مباحث .

المبحث الأول : وقد تناولت فيه جغرافية طبرستان والديلم من حيث الموقع والموضع والمناخ والنشاط السكانى. وفتح العرب لهذه النواحى، وكيف تم انتشار الدين الإسلامى واللغة العربية بها .

المبحث الثانى: وهو بعنوان : الزيديون، نشأتهم ، فكرهم السياسى، وفى هذا المبحث تتبعت نشأة الزيدية، ثم سردت فكرهم السياسى وقارنت بينه وبين فكر فرق الشيعة الأخرى .

المبحث الثالث : وقد وقفته على ظروف قيام الدولة الزيدية فى طبرستان سنة ٢٥٠هـ وكيفية قيامها وصراعها مع جيرانها .

المبحث الرابع : استطعت فيه أن أستخلص صورة عن التنظيمات السياسية والإدارية فى هذه الدولة لاتعدو أن تكون صورة ترجيحية لندرة المعلومات عن هذه التنظيمات .

وفى ذيل هذا البحث كانت النتائج المستخلصة من هذا البحث.

والله أسأل أن ينفع به، وهو سبحانه من وراء القصد وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب،،،

د. على محمد البتانونى

المبحث الأول

نبذة عن جغرافية طبرستان والديلم

وسكانها والفتح الإسلامى لها

ويشمل :

- الخصائص الطبيعية لطبرستان .

- الموقع والموضع والنشاط السكانى .

- الفتح العربى الإسلامى.

- العرب فى طبرستان بعد الفتح .

أولاً: الخصائص الطبيعية لطبرستان : الموقع والموضع والمناخ:

تقع طبرستان فلكياً ما بين دائرة عرض ٣٦ - ٣٠ر٣٦ شمالاً، وبين خط طول ٥٠-٥٤ شرقاً[١] ، وهى تبعد عن «مرو» عاصمة خراسان بنحو ستة وثلاثين فرسخاً* ومقدار فرسخ إلى شط نهر بلخ[٢] ، ومن الرى إلى طبرستان مرحلة خفيفة، والطريق من طبرستان إلى جرجان فمن آمل (عاصمة طبرستان) إلى ميله (إحدى مدن طبرستان) فرسخان[٣] كما يحدها بحر الخزر من الغرب[٤] (خريطة رقم ١) .

ويذكر ابن الفقيه فى مختصر كتاب البلدان: أنها سميت طبرستان لأن قوماً من جيلان دخلوها وكان بها شجر كثير فكانوا لايرون الأرض لكثرة الشجر والتفافه، فقالوا لو قطعنا هذا الشجر بالفؤوس ونزلناها وعمرناها ففعلوا ذلك فسميت على كلامهم طبرستان من طريق الفؤوس[٥] .

ولطبرستان حدود واضحة ذكرها ابن الفقيه: ومدينة طبرستان آمل - وهى أكبر مدنها ثم ممطيرة وبينهما ٩ فراسخ ثم ترنجه مدينة صغيرة، وهى من ممطير على ٩ فراسخ ثم سارية ثم طميش وهى من سارية على ١٩ فرسخاً وهى على حدود جرجان، هذا آخر طبرستان من ناحية خراسان .

ومن ناحية الديلم على ٥ فراسخ من آمل مدينة تسمى ناتل، وإذ جزت ناتل

(١) د. حسين مؤنس : اطلس تاريخ الإسلام ص١١٦ - دار الزهراء بمصر ١٩٨٦/١٤٠٦م شوقى أبو خليل : اطلس التاريخ العربى .

(٢) خرزاذبه - المسالك والممالك ص ٢٠٢ ط، ليدن ١٢٨٥هـ-١٨٨٩م.

(٣) ابن حوقل - صورة الأرض ص ٣٢٥، ٣٢٦ مكتبة الحياة ببيروت (بدون تاريخ).

(٤) المصدر السابق: ص ٣٢٧ .

(٥) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص ٣٠١-٣٠٢ ط. ليدن ١٢٤٢هـ/١٨٥٢م.

(*) الفرسخ ١٢ ألف ذراع - المسالك والممالك ص ٢٠٢ .

فشالوس وهى من ثغر الديلم هذه من مدن السهل أما من الجبل فمدينة يقال لها «الكلار» وهى أيضاً ثغر ثم يليها مدينة يقال لها سعيد أباذ صغيرة ثم الرويان وهى أكبر مدن الجبل، وفى الجبل من ناحية خراسان مدينة يقال لها اللازر والشرزود هستان فإذا جزت اللازر وقعت فى جبال وزراز «هرمز» فإذا جزت هذه الجبال وقعت فى جبال شروين ثم الديلم ثم جيلان(١) .

وللموقع الجغرافى لطبرستان مميزات عديدة منها :

- أن «آمل» العاصمة بها مجمع طرق خراسان إلى بلاد ما وراء النهر وأنها شمال خراسان .
- أن جبال الديلم تتصل من جهة الشرق بجبال طبرستان وجرجان ومن جهة الغرب بجبال اذربيجان(٢) ولذا فهى من جهة الموقع فى موضع حصين فالغالب على طبيعة أرضها الجبال.
- أنها تقع على بحر قزوين، وهو من البحار الداخلية والذى يساهم بظهور تعديل واضح فى درجات الحرارة وكمية الأمطار إلى غير ذلك من تعديل فى الطقس والمناخ لذا فهى رغم ووقوعها فى نطاق مناخ البحر المتوسط، إلا أن مناخها يشبه مناخ المناطق الباردة .

والواقع أن الطبيعة الجغرافية لطبرستان كانت عاملاً مشجعاً لهم على كثرة حركات التمرد ضد الحكم الإسلامى فيذكر البلاذرى (ولم يزل أهل طبرستان يؤدون الصلح مرة ويمتنعون عن أدائه أخرى فيحاربون ويسالمون)(٣) .

ولما كانت طبرستان جزءاً من الامبراطوريات الفارسية المتعاقبة، فقد سيطرت

(١) ابن الفقيه - مختصر كتاب البلدان ص ٣٠٢، ٣٠٣.

(٢) ابن حوقل - صورة الأرض ص ٣٢٧، ٣٥٦، ٣١٦، ٣٧٦.

(٣) البلاذرى - فتوح البلدان ص ٣٤٦ط. الأولى بمصر ١٣١٩هـ/١٩٣١م.

الذهنية الفارسية: من عادات وتقاليد وديانة على سكانها فيذكر ياقوت: أن أهلها ظلوا يدينون بالمجوسية بعد الفتح الإسلامى حتى حكمها الأمويون(١) .

أما من حيث الموضع والمناخ فإن الأرض عبارة عن هضاب مرتفعة يقل ارتفاعها عن ٢٠٠م على امتداد بحر قزوين من الشمال ومن الجنوب جبال البرز، ويصف ابن حوقل طبرستان فيقول: طبرستان بلد كثير المياه والثمار والأشجار الجليلة العظيمة والغالب عليها الفيافى وكثرة الأشجار وهو اقليم كثير الأمطار، وربما اتصل سنة جرداء فلا يرون فيها الشمس، ولاتخلو طبرستان شتاءهم وصيفهم من الأمطار الدائمة الكثيرة، وليس بجميع طبرستان نهر تجرى فيه سفينة، غير أن البحر منهم قريب، وبها من الخشب الخلنج والكرم الملون المجذع خشبه بسواد وحمره والشمشار والشوفط(*) ما ليس بمكان مثله(٢) .

ومن النص السابق نرى أن المناخ وطبيعة الأرض أثراً تأثيراً مباشراً على نشاط السكان فى هذه المنطقة. فقد تميز نشاطهم بين الزراعة والرعى وصيد الأسماك وقطع الأخشاب، فيذكر ياقوت: أن أرضها خصبة جيدة المرعى، كثيرة الفاكهة، ونظراً لكثرة غاباتها، فإن أهلها قطعوا الكثير من لأشجار وعملوا بتصنيع الأخشاب، والزراعة من أهم الحرف التى يعمل بها السكان. ومن أهم حاصلاتها الزراعية الأرز والكتان والعنب، ويعملون كذلك بصيد الأسماك وطيور الماء(٣) ، وأما عن صفات السكان فيذكر ابن حوقل: والغالب على أهل طبرستان وفور الشعر واقتراب الحواجب وسرعة الكلام والعجلة والطيش، وعلى طعامهم خبز الأرز والسمك والثوم(١) .

(١) ياقوت : معجم البلدان ج١٧/٦.

(*) وهذه الأشجار من أشجار الغابات الباردة نظراً للموقع والسطح.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ٣٢٣-٣٢٤.

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج٦ ص١٧، ط أولى مصر ١٣٢٤هـ/١٩٠٦ م ط دار السعادة .

وتبدو الأهمية الاقتصادية لطبرستان، إذ كان خراجها ٠٠٠ر٠٠٥ر٤ مليون درهم فى عهد الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)(٢) .

أما جرجان فتقع بين طبرستان وخراسان فى جنوب شرق بحر قزوين أى فى أقصى شمال بلاد فارس، ويحد جرجان جنوباً اقليم خراسان، وشرقاً اقليم خوارزم، وغرباً بحر قزوين واقليم طبرستان(٣) . ويعتبر هذا الاقليم من مناطق الديلم عاصمته مدينة جرجان، وقد قيل أن من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبى صفرة(*) ، وبرز منها الكثير من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين، ومن أهم مصنوعاتها الابريسيم وثياب الابريسم(**) وتصدره إلى جميع البلدان، وجرجان على واد عظيم ويرزع بها الزيتون والجوز والرمان وقصب السكر، وبها عدة أنواع من الأحجار الكريمة(٤) .

والجزء الجنوبى من «جيلان» يسمى بلاد «الديلم»، وتسكنها قبيلة تعرف أيضاً بالديلم، ويحده من الشمال جيلان نفسها، ومن الشرق طبرستان ومن الغرب اذربيجان وبلاد الرافدين ومن الجنوب نواحى قزوين،و جزء من الرى، وكان سكان الديلم وثنيين،ومن ثم تعرضوا لغارات النخاسين وظلوا على هذا الحال حتى دخلوا فى الإسلام على أيدى الأئمة العلويين(٥) .

ثانيا : فتوح العرب لجرجان وطبرستان والديلم :

(١) ابن حوقل - صورة الأرض ص ٣٢٣.

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص ٣٠٥ .

(٣) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤١٧ ط. بغداد ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.

(٤) ياقوت : معجم البلدان ج٦/١٧.

(٥) المصدر السابق: ج٦/١٧.

(*) يزيد بن المهلب - من عمال بنى أميه .

(**) الابريسم: ثياب من الحرير يستخرج من ودودة القز مما يؤكد وجود أشجار التوت التى تقوم عليها دودة القز .

وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه همه لفتح العراق وبلاد فارس بعد أن اطمأن على سلامة ووضع الجيش الإسلامى فى بلاد الشاموعرف أن الروم قد ارتدوا على أعقابهم بعد موقعة اليرموك، فكانت معركة القادسية ١٤هـ، وبعد القادسية واصل المسلمون بقيادة سعد بن أبى وقاص الفتح حتى تم فتح المدائن - عاصمة الفرس - سنة ١٦هـ، ثم كانت موقعة نهاوند (فتح الفتوح) سنة ٢١هـ التى قادها النعمان بن مقرن(١) .

ولعل أهم نتائج هذه المعارك أنه لم يقم للفرس قائمة، وتتابع الفتح الإسلامى لبلاد فارس فتم عام ٢٢هـ فتح همذان، والرى ، وجرجان، وقد قاد هذه الفتوح سُويد بن مقرن. ويذكر الطبرى عن فتح جرجان سنة ٢٢هـ : وعسكر سويد بن مقرن ببسطام، وكاتب ملك جرجان رزبان صول ثم سار إليها، وكاتبه رزبان صول، وبادره بالصلح على أن يؤدى الجزاء، ويكفيه حرب جرجان، فإن غلب أعانه . فقبل ذلك منه، وتلقاه رزبان صول قبل دخول سويد جرجان ، فدخل معه، وعكسر بها حتى جبى إليه الخراج، وسمى فروجها، فسدها بترك دهستان، فرفع الجزاء عمن أقام بمنعها، وأخذ الخراج من سائر أهلها، وكتب بينهم وبينه كتاباً: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول بن رزبان وأهل دهستان وسائر أهل جرجان، إن لكم الذمة، وعلينا المنعة، على أن عليكم من الجزاء فى كل سنة على قدر طاقتكم، على كل حالم، ومن استعنا به منكم فله جزاؤه فى معونته عوضاً من جزائه، ولهم الأمان على أنفسهم، وأموالهم، ومللهم وشرائعهم ولا يغير شيء من ذلك هو إليهم ما أدوا وأرشدوا ابن السبيل ونصحوا وقرروا المسلمين، ولم يبد منهم سل ولا غل، ومن أقام فيهم فله مثل ما لهم، ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، وعلى أن من سب مسلماً بلغ

(١) الطبرى : تاريخه ج٤/ ١٣٠ وما بعدها، ط الرابعة دار المعارف بمصر.

جهده، ومن ضربه حل دمه. شهد سواد بن قطبة، وأخرون»[١] .

أما عند فتح طبرستان فيذكر الطبرى فى حوادث سنة ٢٢هـ: أن الأصبهبذ* أرسل سويداً فى الصلح، على أن يتوادعا ويجعل له شيئاً على غير نصر ولا معونة على أحد، فقبل ذلك منه، وأجرى ذلك لهم، وكتب له كتاباً:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من سويد بن مقرن للفرخان أصبهبذ خراسان على طبرستان وجبل جيلان من أهل العدو، إنك آمن بأمان الله عز وجل على أن تكف لصوتك وأهل حواش أرضك، ولا تؤوى لنا بغية، وتنفى من ولى فرج أرضك بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك، فإذا فعلت ذلك فليس لأحد منا أن يغير عليك، ولايتطرق أرضك، ولايدخل عليك إذا بإذنك، سبيلنا عليك بالأذن امنه، وكذلك سبيلكم، ولا تؤون لنا بغية، ولا تسلون لنا إلى عدو، ولا تغلون، فإن فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم، شهد سواد بن قطبه وآخرون»[٢] .

وواضح من شروط الصلح أن المسلمين لم يدخلوا أرض جرجان وطبرستان إنما وادعوهم على جزية يؤدونها للمسلمين، فإن أدوها فليس لأحد من لمسلمين أن يغير عليها ولايتطرق أرضها ولايدخل عليها إلا بإذن ملك جرجان وأصبهبذ طبرستان، ولكنهم اشترطوا عليهم أنه من سب مسلماً بلغ جهده، ومن ضربه حل دمه ، ولايؤوا البغاه وأعداء المسلمين، لذا نقول أن البلاذرى لم يعد ذلك فتحاً حيث لم يستوطن المسلمون الاستيطان الحقيقى فيها كالبلاد التى فتحوها، لذا بدأ الحديث عن فتح طبرستان وجرجان عام ٢٩هـ، فيذكر أنه فى عهد عثمان بن عفان ولى رحمه الله سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الكوفة سنة

---

(١) المصدر السابق: ج٤ ص١٥٢ .

(*) كانت ملوك فارس تولى طبرستان رجلاً يسمونه الأصبهبذ - ابن الفقيه - مختصر كتاب البلدان ص٣٠٧.

(٢) الطبرى: تاريخه ج١٥٣/٤.

٢٩ هـ فكتب مرزبان طوس إليه والى عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو على البصرة يدعوهما إلى خراسان على أن يملكه عليها أيهما غلب وظفر، فغزا سعيد طبرستان وافتتح سهلها والرويان وأعطاه أهل الجبل مالا - وكان المسلمون يغزون طبرستان ونواحيها فربما أعطوا الأتاوة عفواً وربما أعطوها بغير قتال[١] .

ثم سار سعيد إلى جرجان فى مائة ألف من أهل الشام والعراق وخراسان مع جيش الموالى المتطوعة، وابتداء بقهستان فحصارها، وكان أهلها من الترك، وشدد عليها الحصار حتى طلبوا الأمان، فعقد معهم صلحاً واستولى على المدينة، وغنم المسلمون منهممغانم كثيرة ثم خرج منها إلى جرجان واستقبله أهلها بالصلح ، وزادوه وهابوه وصالح ملك جرجان على مائتى ألف درهم[٢] .

ويبدو من النصوص التى أوردها البلاذرى أن فتح هذه البلاد وبخاصة طبرستان لم يكن سهلاً إنما استغرق العصر الأموى كله والعصر العباسى الأول (١٣٢هـ-٢٣٢هـ) ونورد مقتطفات مما ذكره البلاذرى :

ولى معاوية بن أبى سفيان مصقلة بن هبيره بن شبل طبرستان وجميع أهلها حرب وضم إليه عشرة آلاف ويقال عشرين ألفاً فكاده العدو وأروه الهيبة حتى توغل بمن معه فى البلاد فلما جاوزوا المضايق أخذها العدو عليهم وهدموا الصخور من الجبال على رؤوسهم فهلك ذلك الجيش أجمع وهلك مصقلة فضرب الناس به المثل فقالوا حتى يرجع مصقلة من طبرستان[٣] . وبذلك تكرر فشل العرب فى فتح هذه البلاد.

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٤٢.
(٢) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - حوادث عام ٣٠هـ.
(٣) البلاذرى - فتوح البلدان ص ٣٤٣.

ثم إن عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان ولى محمد بن الأشعث بن قيس الكندى طبرستان فصالحهم وعقد لهم عقداً ثم أمهلوا له حتى دخل فأخذوا عليه لمضايق وقلتوا ابنه أبا بكر وفضحوه ثم نجا فكان المسلمون يغزون الثغر وهم حذرون من التوغل فى أرض العدو(١) .

ولما ولى سليمان بن عبد الملك الخلافة الأموية، أرسل يزيد بن المهلب لغزو طبرستان من جديد واستعادتها، واستطاع يزيد أن ينجح فى مهمته، ويعقد صلحاً مع الأصبهيذ بمقتضاه يؤدى جزية للمسلمين قدرها أربعة ملايين وسبعمائة ألف درهم، وأن يبعث بأربعين حملاً حمار من الزعفران وأربعمائة رجل يحمل كل منهم ترساً وكأساً من الفضة، وقدراً من الحرير واستخلف عليها والياً، ووضع الجزية والخراج على أهلها(٢) .

ونرى أنه من الأخطاء التى ارتكبها العرب عند فتحهم لبلاد ما وراء النهر والصين أنهم لم يتخذوا قواعد لهم فى البلاد المفتوحة، فعندما أقام يزيد بن المهلب بخراسان شتوية ثم غزا جرجان، وكان عليها حائط من آجر قد تحصنوا به من الترك وأحد طرفيه فى البحر فقال يزيد قبح الله قتيبة(*) ترك هؤلاء وهم فى بيضة العرب وغزا الصين(٣) (خريطة رقم٢) .

أما فى عهد الدولة العباسية فقد وجه أبو جعفر المنصور - الخليفة العباسى

---

(١) المصدر السابق: ص ٣٤٣.

(٢) المصدر السابق: ٣٤٩.

(*) هو قتيبة بن مسلم الذى فتح هذه لمنطقة من سنة ٨٥-٩٧هـ، وكان متحمساً لنشر الدين الإسلامى فى هذه البلاد. الطبرى: حوادث ٨٥-٩٧هـ.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج٤ / ٢١٨.

الثانى خازم بن خزيمة التميمى وروح بن حاتم المهلبى ومعهما مرزوق أبو الخصيب فاستطاع الأخير أن يصل الى الأصبهبذ وأن يحتال عليه حتى ضمن ولائه فلما اطلع على أموره وعوراته كتب إلى خازم وروح بما احتاجاً إلى معرفته واحتال للباب حتى فتحه فدخل المسلمون المدينة وفتحوها ، وتم فتح جبال شروين من طبرستان، وهى أمنع جبال وأصعبها وذلك فى خلافة المأمون، ثم ولى المأمون (مايزديار) أعمال طبرستان «الرويان» وسماه (محمداً) وجعل له مرتبة الأصبهبذ فلم يزل والياً حتى تولى المعتصم فأقره على عمله ثم أنه كفر وغدر بعد ست سنين وأشهر من خلافته فحاربه عبد الله بن طاهر بن الحسين عامله على خراسان واستطاع بالحيلة أن يقبض عليه فحمل الى «سر من رأى» سنة ٢٢٥هـ فضرب بالسياط بين يدى المعتصم ضرباً مبرحاً فلما رقعت السياط عنه مات فصلب بسر من رأى مع بابك الخرمى وافتتحت طبرستان سهلها وجبالها فتولاها عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم طاهر بن عبد الله من بعده[١] ، وهكذا تم التغلب على كل مقاومة بهذه النواحى فى السهل والجبل، لذا فإننا نعتبر الفتح الحقيقي لطبرستان سنة ٢٢٥هـ، كما نؤكد أن هذه البلاد كانت تنزع الى الاستقلال بدليل أن أهل طبرستان وجرجان كانوا يلتزمون بشروط الصلح أحياناً ويمتنعون عن تنفيذه أحياناً أخرى، فيحاربون ويسالمون.

ثالثاً : العرب فى طبرستان بعد الفتح :

نظن أنه قد استقرت بهذه المناطق قبائل ينتمون الى القبائل اليمانية والقيسية أو تركية وخرسانية، وهى القبائل التى اشتركت فى الفتوح منذ عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ أن حركة الفتح لم تخرج فى نطاق القبيلة أو الطائفة الواحدة، إنما كانوا خليطاً من كل هذه الفئات وحتى عهد المأمون العباسى

(١) البلاذرى: فتوح البلدان ص ٣٤٧-٣٤٨.

سنة ٢١٧هـ بدليل أنه قد تخرج من أهل هذه البلاد الكثير من رجال العلم والأدب والفقه[١] ، ولقد مر بنا أن الأصبهيذ حاكم طبرستان كان يحادث مرزوقاً - أحد قواد المنصور العباسى - باللغة العربية وكل ذلك ينهض دليلاً على انتشار اللغة العربية والدين الإسلامى بهذه النواحى بفضل استقرار بعض العرب فى هذه المناطق .

ومن خلال دراستنا لهجرات العرب المتعددة سواء قبل الفتح الإسلامى أو بعده نجد أنهم عندما يستقرون فى الأوطان الجديدة التى ينزحون إليها كانوا يختلطون بسكانها بل يشاركوا مشاركة فعالة فى إرساء وبناء قواعد الدين الإسلامي وحضارته فى الأوطان التى استقروا فيها ، وعلى سبيل المثال لا الحصر: العرب الذين اختلطوا بالمصريين أو بالشاميين بعد الفتح العربى لمصر والشام فهم الذين عربوا المناطق التى هاجروا إليها واستقرا وذابوا فيها. ونحن على كل حال عندما نهتم بهذا الموضوع ونعرضه عرضاً سريعاً موجزاً إنما نود أن نقول أن طبيعة تكوين قوات وجيوش الفتح الإسلامي وخروجهم وفى أعقابهم النساء ما يعنى أو يعبر عن معنى من معانى الرغبة فى النزوح والاستقرار والاستيطان، وهكذا كانت السياسة العربية التى رسمت منذ الفتح العربى وأدت إلى تدفق القبائل العربية إلى الأقاليم والأمصار المفتوحة سبباً فى دعم نظام الحكم العربى .

ومع ذلك فقد نتساءل عن حرفية تلك السياسة التى شجعت القبائل العربية على الاستيطان والذوبان فى الأقاليم والأمصار، فهل كانت هناك سياسة مرسومة فعلاً؟ وهل كانت هناك خطط بشأن تنظيمها أو بشأن الاسكان؟ والإجابة على هذه الأدلة وغيرها ليست من الأمور السهلة، وقد لانصل فيها إلى قرار شامل واضح[١] ، ومع ذلك لانشك أن بعض العرب كانوا يقتنون الأملاك والضياع بهذه

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ج٦/١٧.

الأماكن ويساكنون أهلها .

أما عن الديانة السائدة فى هذه المناطق فيذكر البلاذرى «أن الدين الغالب فى هذه المناطق قبل الفتح الإسلامى كان دين الفرس»[٢] فإننا نرجح أن المانوية حين اضطهدها الأكاسرة منذ ظهورها فى أواخر القرن الثالث الميلادى هاجرت إلى أواسط آسيا وانتشرت هناك.

فإذا تتبعنا الدعوات إلى الإسلام وجدنا أن مصادرنا العربية لاتذكر دعوة إلى الإسلام استجيبت أيام قتيبة أو قبله إلا ما قيل من أن قتيبة أحرق بنفسه بيوت الأصنام فى سمرقند فأسلم منهم خلق كثير[٣] .

ونرجح أنه بالمثل يمكن أن يكون من انتشار الإسلام فى طبرستان وجرجان والديلم ويؤكد بعض الكتاب المعاصرين أن عناية عمر بن عبد العزيز بالدعوة للتدين بالإسلام، كان لها أثر بالغ فى بلاد ماوراء النهر، إذ استجاب لها بعض الأهلين، لكن غـالبية أهالى هذه البلاد لم يعتنقوا الإسلام حتى عهد المعتـصم[٤].

ولكن إذا حاولنا أن نستنطق المصادر فنجد ابن الفقيه الهمدانى المتوفى فى أواخر القرن الثالث الهجرى - حينما يصف لنا مدن طبرستان أيام الدولة العباسية الأولى (١٣٢-٢٣٢هـ) يذكر أن كل مدينة بطبرستان بها مسجد ومنبر : وفى طميش خلق كثير من الناس ومسجد وجامع ، وبعدها فى السهل مدينة المهروان

---

(١) د/ صلاح الدين الشامى: الوطن العربى دراسة جغرافية ص٤٣، ٤٤ مكتبة الأنجلو ١٣٥٣هـ/١٩٦٣م.

(٢) البلاذرى: فتوح البلدان ص٤٠٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج٤/٢١٨.

(٤) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسى ج١/٢٣١-٢٣٢ ط٧ - النهضة المصرية ٨٦.

وفيها أيضاً مسجد ومنبر.. وبعدها مدينة آمل، وفيها مسجد ومنبر، وعلى حد من حدود الديلم مدينة يقال لها شالوس وفيها منبر ومسجد(١) .

وصفوة القول أن الإسلام غلب على من هناك بسياسة الدعوة بشرائطها الأليفة المريحة، ولعدم وجود دين وثقافة دينية بهذه النواحى تتصدى للدين الإسلامى إذ أن المجوسية تشكل مجموعة من الأفكار السطحية الهشة التى لاتقوى على مصارعة الدين الإسلامى الفطرى الشامل، ونضيف أن وجود العرب ولو بأعداد قليلة يختلطون بأهلها فى تجارة وزراعة وصناعة - والاختلاط هو خير وسيلة لنشر الأفكار والعادات كان له أكبر الأثر فى نشر الإسلام وحضارته ، وإلا كيف نفسر وجود أعداد كبيرة من العلماء والفقهاء ورجال العلم والأدب بهذه المناطق فى مطلع القرن الرابع الهجرى، ولكن ما يمكن أن نؤكده أن الدين الإسلامى انتشر فى هذه المناطق ببطء أو بعبارة أخرى ليس بالسرعة التى انتشر فيها فى مصر والشام حيث استوطنت فيها القبائل العربية بأعداد كبيرة، وكان التمازج الدموى عاملاً من عوامل نشر الإسلام واللغة العربية .



(١) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ٣٠٤/٣٠٥.

المبحث الثانى

الزيدون - نشأتهم - فكرهم السياسى

تمهيد:

تولى يزيد بن معاوية خلافة الدولة الأموية سنة ٦٠هـ من غير شورى من الأمة، ولم يبايع الحسين بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهما - ليزيد بالخلافة، فاستقر بمكة، ثم كاتبه أهل الكوفة، فأرسل الحسين رضى الله عنه ابن عمه مسلم بن عقيل ليرتاد له الطريق ويعرف الحقيقة، فوصل مسلم إلى الكوفة وأحسن أهلها استقابلة واجتمع حوله عدد كبير يقارب ثمانية عشر ألفاً وكلهم يؤيدونه ويعدون بنصر الحسين، وحينئذ كتب مسلم إلى الحسين بذلك، فقرر الحسين الخروج إليهم.

ولكن أهل الكوفة سرعان ما انفضوا من حول مسلم حينما قرر يزيد عزل النعمان بن بشير رضى الله عنه عن ولاية الكوفة - وكان والياً يميل إلى التسامح واللين، وتولية عبيد الله بن زياد وكان يتميز بالعنف والقسوة فى حفظ هيبة الدولة وتوفير الأمن والاستقرار لها .

وتفاصيل استشهاد الحسين رضى الله عنه مذكورة فى مصادر كتب التاريخ ولا داعى لتكرارها[1] والنهاية المؤلمة كانت مقتل الحسين، ولم ينج من أنصاره إلا خمسة وهم : ابنه على زين العابدين وكان مريضاً فلم يحضر المعركة، وأخته زينب بنت على بن أبى طالب، وفاطمة وسكينة، وأخوه الأصغر عمر - رضى الله عنهم أجمعين .

---

(١) الطبرى : تاريخه ، حوادث سنة ٦١هـ.

ولا ريب أن مقتل الحسين بن على - رضى الله عنهما - فى كربلاء فى اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ كان حدثاً كبيراً هز دولة الأمويين وهدد سلطانهم.

ونقول لايقاس خروج الحسين بمقاييس السياسة والحرب فيدان المهزوم لفشله ويهلل للمنتصر بانتصاره، وإنما يقاس بالنتائج البعيدة التى كشف عنها باطن التاريخ فيما بعد، ذلك أن التاريخ الإسلامى لم يعرف هزيمة أثارت نفوساً ودكت عروشاً وأزالت دولاً وأقامت دولاً، كهزيمة الحسين ومقتله فى كربلاء، بل إنها حرب انتصر فيها المهزوم وانهزم فيها المنتصر لا لأن الدم المسفوك قد أثار حركات متتالية ضد الدولة الأموية حتى أتت عليها فحسب، بل لأن أمر الحسين ويزيد بن معاوية قد أصبحا بين يدى بارئهما، وليس ليزيد بن موته من أنصار ولا أتباع، بينما بقى الحسين بعد مقتله شيعة لاتفتر فى نفوسهم الموالاة والحزن على ذلك اليوم المشؤوم بالرغم من توالى السنين والقرون(١) .

الزيدية:

كانت الجراح الساخنة التى أصابت قلوب المؤمنين عامة وأهل البيت خاصة - منذ استشهاد الحسين رضى الله عنه - سبباً فى عزوف السلالة الطاهرة من أبناء البيت النبوى عن السياسة وبعدهم عن هذاالمعترك، إذ انهالوا على العلم يغترفون منه، ففاضوا على الناس كمحدثين وفقهاء وأقاموا بالمدينة المنورة - حيث مثوى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ينهلون من آثاره وآثار أصحابه، منقطعين للعلم والعبادة فوجدوا فيهما العزاء والسلوى. سلك هذا الطريق على بن الحسين (زين العابدين) وتبعه ابنه محمد الباقر ثم جعفر الصادق رضى الله عنهم .

---

(١) د. أحمد محمود صبيحى - الزيدية ص ٦٤ منشأة المعارف بالاسكندرية ١٣٦٨هـ/ ١٩٨٠م.

أما زيد بن على بن الحسين (١٢٢هـ/٧٣٩م) فقد ترك منهاج أبيه وأخيه وابن اخته، ولم يقم بالمدينة ويجعلها مقراً له، بل أكثر من الترحال والانتقال فكانت له جولات فى السياسة أصاب فيها وأصيب، ولكنه لم يترك ميدان العلم أيضاً، فقد تلقف التركة المثرية من الفقه والحديث كشأن باقى أفراد البيت النبوى، فأصبح بذلك (عالم واسع الأفق، مستبحر المعرفة، عالماً بآراء الفقهاء من حجازيين وعراقيين، وعلم المناهج الفقهية كلها، وكان عالماً بحديث آل البيت وغيرهم وكان عالماً بالفرق الإسلامية، ولعله أول علوى جاهر بانتحاله مذهباً من المذاهب)[١] (ملحق رقم ١ شخصيات).

تضاربت أقوال المؤرخين فى تبرير خروج زيد بن على بن الحسين سنة ١٢١هـ على الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك (٩٥هـ/٧١٣م) فقد قيل عدة أسباب منها :

ملاحقة ولاه هشام بن عبد الملك زيداً بتهم مالية كاذبة اقتضت اخراجه من المدينة المنورة مرة إلى دمشق ليسائله فى ذلك هشام، ومرة إلى العراق ليسائله واليها من قبل هشام، ومنها أنه ذهب إلى هشام يشكو إليه واليه على المدينة ولكن هشاماً أهانه معيراً إياه بأمه الجارية فرد عليه زيدا رداً مفعماً مشيراً إلى أن أم نبى الله إسماعيل عليه السلام كانت جارية ولكن الله أخرج منها دون سيدتها سيد البشر، ولا يعير من كان جده رسول الله ﷺ وأبوه على بن أبى طالب[٢] .

وكانت بيعته (التى بايع عليها الناس): إنا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، واعطاء المحرومين، وقسم

(١) أبو زهرة - الإمام زيد ص ٧٢ ط الأولى، دار الفكر العربى ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.
(٢) ابن الأثير - الكامل ج٤/٤٢.

هذا الفيء بين أهله بالسواء، ورد المظالم، ونصر أهل البيت.

ثم قال أتبايعون على ذلك، فبايعه أهل الكوفة فى خمسة عشر ألفاً، فشاع أمره فى الناس[١].

وخرج الإمام زيد على هشام بن عبد الملك بعد أن بايعه أهل الكوفة من المتشيعين لأهل البيت. ولكنهم خذلوه كما خذلوا جده أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأبنه الحسين سيد الشهداء (فعلوها حسينية) مع الإمام زيد أيضاً كما جاء على لسانه، ثم راحوا يبكونه بعد الخذلان المزرى، فيأتى بعضهم إلى كناسة الكوفة حيث صلب، فيتعبدون عنده، وكان الأجدر بهم مناصرته حياً ومؤازرته فى حربه التى أصبحت غير متكافئة بعد نكثتهم بيعتهم له[٢].

ويذكر ابن الأثير أنه قد أشار على زيد قوم من خلص الناصحين بعدم الخروج ومنهم أخوه محمد الباقر: لاتركن إلى أهل الكوفة فإنهم أهل غدر ومكر، فيها قتل جدك، وطعن عمك الحسن، وقتل أبوك الحسين ولكنه أبى إلا الخروج.

ولقد تحقق ما أشار به الناصحون : فلما رأى أصحاب زيد بن على من يوسف بن عمر والى الكوفة - أنه قد بلغه أمره وأنه يبحث عنه، اجتمع إليه جماعة من رؤوسهم وقالوا: رحمك الله ما قولك فى أبى بكر وعمر ؟ قال زيد: رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتى يقول فيهما إلا خيراً وإن أشد ما أقول فيما ذكرتم إنا كنا أحق بسلطان ما ذكرتم، فدفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً وقد ولوا فعدلوا فى الناس وعلموا بالكتاب والسنة. قالوا : فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك فلم تدعو إلى قتالهم فقال: إن

(١) التفاصيل، ابن الأثير - الكامل جـ٤/٤٢.

(٢) ابن تيمية - منهاج السنة النبوية ج١/٨ ط. أولى / المطبعة الأميرية ١٣٢١هـ/ ١٩٣٠م (تقى الدين أحمد عبد الحليم) سنة ٧٢٨هـ.

هؤلاء ليسوا كأولئك هؤلاء ظالمون لى ولكم ولأنفسهم وإنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإلى السنن أن تحيا وإلى البدع أن تطفأ فإن اجبتمونا سعدتم وإن أبيتم فلست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته فسماهم الرافضة، ومن تابعه من الناس على قوله سموا بالزيدية وغالب أهل الكوفة رافضة، وغالب أهل مكة على مذهب الزيدية(١).

ولما دعا زيد بن على أصحابه للخروج فى ليلة أول صفر سنة ١٢٢هـ لم يستجب لدعوته سوى مائتين وثمانية عشر رجلاً، ثم اشتبك مع جند الشام فى عدة معارك، وكان النصر فى بعضها حليفه أول الأمر، ولكنه منى أخيراً بالهزيمة وقتل(٢).

واستخرج بعد دفنه وصلب بالكناسة (مكان بالكوفة) أربع سنين ونسجت العنكبوت على عورته ثم أنزل وأحرق وذر رماده(٣).

وهكذا تكررت الظاهرة فتكررت مأساة الحسين فى شخص زيد حفيده.

وهنا يحق لنا أن نتساءل عن السبب. وقد تعرض الدكتور النشار إلى تفنيد رواية الأصبهانى فى مقاتل الطالبين(*) ، مستبعداً أن تكون العلة فى حصر الناس بالمسجد بواسطة يوسف بن عمر عامل هشام على الكوفة، الذى حال بهذه الطريقة بين السواد الأعظم من أهل الكوفة وبين زيد، ويرى أهل السنة والجماعة

---

(١) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج٤/٢٤٥-٢٤٦.

() محمد بن طباطبا الطقطقى - الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص ١١٣- الطبعة الثانية - مطبعة المعارف بمصر.

(٣) ابن العماد الحنبلى - شذرات الذهب ح١/١٥٨-١٥٩ - المكتب التجاري للطباعة بيروت.

(*) ذكر الأطبهانى - مقاتل الطالبين أنه فى يوم خروج زيد حجز يوسف بن عمر - عامل هشام على الكوفة الناس بالمسجد للمنع من اشتراكهم معه.

أن فى مذهب الإمام زيد - وهو جواز المفضول - تكمن له خذلان أهل الكوفة له[١] .

فبدلاً من المناضلة معه، دخل المبايعون له فى مناقشة حامية هى أقرب إلى المساومة عن رأيه فى الصاحبين، فدعا لهما بالمغفرة ذاكراً أنه لم يسمع أحداً من أهل بيته تبرأ منهما، فهو متبع لهذه السنة ولايذكرهما إلا بخير، ولكنهم أبوا مناصرته وكأنهم يتعللون بهذه المناقشة البيزنطية للقعود عنه فرفضوه وأصبح يطلق عليهم (الرافضة) وسمى من لم يرفضه من الشيعة زيدياً لانتسابهم إليه[٢] .

أما الزيدية، فقد انفصلوا عن باقى الفرق الشيعية منذ ذلك الوقت لمناداتهم بأنه لابد أن يخرج الإمام داعياً لنفسه خلافاً للشيعة الاثنى عشرية الذين يعتبرون الإمام إماماً ولو لم يخرج داعياً لنفسه[٣] .

وقد قسم الدكتور النشار أنصار الإمام زيد إلى :

أولاً : جماعة من كبار الشخصيات الذين أحبوا أهل البيت حباً خالصاً لايختلط بأية شوائب عنوصية واستماتوا فى الدفاع عنه ومناصرته حيث قتل البعض منهم ونجى الآخر .

ثانياً : بعض الفقهاء ونقله الآثار وأبرزهم أبو حنيفة الذى تتلمذ على يد زيد لمدة عامين .

---

(١) د. على النسار نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج٢/١٥٤ ط الثانية ١٩٦٤ دار المعارف بمصر.

(٢) ابن تيمية - منهاج السنة النبوية - ج١/ص٨ .

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة - الإمام الصادق، ص ٤١ القاهرة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

ثالثاً: المعتزلة لأن زيد بن على خرج لمحاربة الإمام الظالم تطبيقاً لأصل من أصولهم وهو (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)(١) .

من هذا نستنتج أن المذاهب الشيعية لم تسلك سبيلاً واحداً حتى بلغت النسق الأخير المعاصر فى صورة الثلاث : الاثنى عشرية والاسماعيلية والزيدية، وإنما كانت الآراء تتفاعل فى بوتقة الأحداث يأخذ بعضها برقاب بعض، ولم يكن النقل من مصدر واحد بعينه بل تلقفته المدارس والأتباع لتضيف إليه وتعدل فيه حتى صارت إلى ما أصبحت عليه، بينما دعوى حب أهل البيت النبوى بريئة من كل هذا.

فإن مُحبى أهل البيت المعتدلين لم تتسرب إلى عاطفتهم الخالصة شوائب الغلو، فخرجوا مع الإمام زيد بدافع تلقائى للوقوف فى وجه الظلم ممثلاً فى حاكم بنى أمية هشام بن عبد الملك - وأقامة صرح الحكم الإسلامى العادل الصحيح من وحى الكتاب والسنة .

ونعود إلى الروافض وموقف الخذلان الذى أخذه الشيعة طابعاً لهم منذ استشهاد الحسين، أنهم عاهدوا وبايعوا ثم نكصوا على أعقابهم فى الساعة التى يمتحن فيها متانة العقائد، فلما جاءت الأجيال التالية بعدهم لم يسعها إلا صياغة المذهب فى تأكيد حقوق الأئمة صياغة فلسفية نظرية ليعوضوا الدور الذى كان ينبغى على اسلافهم أن يؤدوه وهو الدور الحقيقى الذى كانت تمليه الأحداث - وتفرضه عليهم فرضاً .

ولم يكن انصراف الروافض عن مناصرة زيد بن على إلا أنه أكد محبته للصاحبين فى سياق نظرته عن جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل(٢) لقد

---

(١) د. النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج١٥٨/٢، ١٥٩ .

(٢) د. مصطفى حلمى - نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى ٢٤٩-٢٥٠ دار الانصار، ب ت.

أعلن لهم دون مواربة وهو على أهبة الاستعداد للحرب، أن الخلافة فوضت إلى أبى بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة..

وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن ممن عرفوه باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق فى الإسلام والقرب من رسول الله ﷺ (١) .

فلا نص هناك إذاً ولا وصية، وإلا لنادى بها وأعلنها فى نزاهة ضد هشام بن عبد الملك - وهو الفقيه المحدث الراوى لحديث آل البيت وغيرهم(٢) بل إنه يكاد يعلن وهو يناقش أخاه محمد الباقر (أن أباه لم يكن إماماً، بل كان فى نظره رجلاً من صالحى أهل البيت)(٣) لأنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج(٤) .

إن الإمام زيد فى حقيقة الأمر قد ظهر فى الوقت المناسب لكى يقف فى وجه الآراء الشيعية التى سادت فى عصره، ويعود بذاكرة القوم إلى (الأعمال الباهرة التى قام بها الشيخان أبو بكر وعمر والتى جعلت خلافتهما (حصن الإسلام المكين)(٥) .

لقد أدى دوره فى تصحيح الأفكار التى كان يبثها الشيعة على اختلاف فرقهم فى الخفاء كإثبات الخلافة بالوراثة عن طريق النص من النبى ﷺ إلى على الذى أوصى بها إلى الحسن ثم الحسين وهكذا.. والقول بعصمة المهدى المنتظر .

ويذهب الشيخ أبو زهرة إلى أن الإمام زيد قد خرج من الموقف السلبى الذى

(١) الشهرستانى - الملل والنحل ج٢٠٨/١ على هامش الفصل، دار المعرفة بيروت، ط. الثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

(٢) أبو زهرة - الإمام زيد، ص ٧٠ دار الفكر العربى ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.

(٣) النشار - نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ١٤٨/٢ .

(٤) الشهرستانى - الملل والنحل ج٢١٠/١.

(٥) أبو زهرة - الإمام زيد ص١٠٤ .

التزمه من هو أكبر من آل البيت إلى الموقف الإيجابى. كما كانت آراؤه فى الخلافة مشتقة من آراء أمير المؤمنين على بن أبى طالب التى اشتهرت بين المسلمين[١].

وقد أفصح زيد عن أفكاره السياسية لهذا سنعرض لآرائه فى الإمامة.

فكر الزيديين السياسى:

(إنى أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه وإحياء السنن وإماتة البدع فإن تسمعوا يكن خيراً لكم ولى وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل)[٢] فأصبح الشرط الأول لمشايعة زيد هو الخروج، وهكذا كان خروج زيد مشابها لحركة الحسين ثم استكملها بالإفصاح السياسى والكلامى عن مبررات الخروج ومعاداة الحكام الظالمين.

والواقع أن زيداً قد جمع بين النظر والعمل على نحو متكامل، كان فى النظر غاية فى الفصاحة والبلاغة والبراعة حتى شبه بالإمام على بن أبى طالب – وكان فى العمل زاهداً شجاعاً مقداماً لايتردد فى تطبيق ما يؤمن به، يؤمن بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويؤمن بعدم السكوت على حكم قام على الغلبة وبخاصة إذا كان الحاكم فاسقاً متجبراً، ولايفوته فى دعوته إلى الخروج أن ينصح أتباعه بمراعاة حدود الله.

من أقواله[٣] : فمن سمع دعوتنا هذه الجامعة غير المفرقة، العادلة غير الجائرة، فأجاب دعوتنا، فله مالنا وعليه ما علينا، ومن رد علينا دعوتنا وأبى

(١) أبو زهرة – الإمام زيد ص ١٨٧.

(٢) حميد المحلى – الحدائق الوردية فى مناقب أئمة الزيدية – مخطوط بالمكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء باليمن تحت رقم ٧٥ – نقلاً عن كتاب الزيدية – د. أحمد صبحى ص ٦٧.

(٣) المصدر السابق.

إجابتنا واختار الدنيا الزائلة الآملة على الآخرة الباقية، فالله من أولئك برىء، وهو يحكم بيننا وبينكم فإذا لقيتم القوم فادعوهم إلى أمركم فلأن يستجيب لكم رجل واحد خير لكم مما طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة، وعليكم بسيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب بالبصرة والشام. لاتتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا باباً مغلقاً والله على ما أقول وكيل. عباد الله لاتقاتلوا على الشك فتضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة ثم القتال، فإن الله يجازى عن اليقين أفضل جزاء ويجزى به على حق، إنه من قتل نفساً يشك فى ضلالتها كمن قتل نفساً بغير حق. عباد الله : البصيرة البصيرة، ثم يشير إلى أنه لا عبرة بكثرة المخالفين ولا بقلة أتباعه الزاهدين فالله لم يذكر (كثيراً) إلا ذمه ولم يذكر (قليلاً) إلا مدحه، والقليل فى الطاعة هم أهل الجماعة والكثير فى المعصية هم أهل البدع).

أشار الإمام زيد بن على فى خطبته هذه إلى عدة مبادىء :

١- أخلاقيات الحرب كما حددها الإسلام.

٢- رأيه فى مخالفيه كرأى على بن أبى طالب فى محاربيه .

٣- لاحرب إلا بعد يقين من أنه على حق فى خروجه وإلا استوى مع خصومه فى شكهم إذ أرداهم الطمع فى الدنيا، وهو بهذا يريد من أتباعه أن يحاربوا حرب المبادىء والقيم نظراً ومسلكاً.

٤- لاعبرة بكثرة الخصوم فالله فى كتابه قد ذم الكثرة وامتدح القلة .

٥- أهل الجماعة هم المجتمعون على طاعة الله، أما من اجتمعوا على معصيته فليسوا أهل الجماعة وإنما أهل بدع .

آراؤه السياسية:

أولاً: جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل:

كما سبق أن ذكرنا أن من بايعوه من أهل الكوفة والبصرة قد جادلوه بصدد رأيه فى الشيخين فأبى أن يذكرهما إلا بخير، قالوا : فلم يكون قتالنا القوم - أى الأمويين. قال: ليس هؤلاء كهؤلاء فانفضوا عنه إلا نفر قليل فقال لهم : لقد رفضتمونى وأطلق لفظ الرافضة من بعدها على الطاعنين فى الشيخين.

كان على بن أبى طالب فى رأي الزيدية أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت إلى أبى بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين الفتنة وتطييب قلوب عامة الناس، فإن عهد الحروب التى جرت فى أيام النبوة كان قريباً، وسيف أمير المؤمنين على على دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد، والضغائن فى صدور القوم من طلب الثأر كما هى، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل، ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، (فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن من عرفوه باللين والتؤدة والتقدم بالسن والسبق فى الإسلام والقرب من رسول الله ﷺ)[١] ، وهو بهذا قد برر موقف جده على بن أبى طالب من خلافة أبى بكر وعمر تبريراً واقعياً[٢] .

ويلاحظ أن الإمام زيد سكت عن ذكر الخليفة الثالث عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فلم يشر إليه. يمكننا إذا أن نصل من هذا إلى أنه لم يصرح بوجود نص حديث عن الرسول ﷺ أو وصية أوصى بها إلى على ثم انتقلت إلى أبنائه بعده، خلافاً لما كان ينادى به الشيعة حينئذ. فالكيسانية كانت ترى إمامة محمد بن الحنفية ومهديته، وفريق آخر ينادون بإمامة أخيه محمد الباقر، والغلاة

---

(١) المسعودى - مروج الذهب ج٢/ ٢٤٠، اليعقوبى - تاريخه ج٣/١٠٥.

(٢) النشار - نشأة الفكر - ج٢/١٦١ .

تنادى بإمامة بعض آل البيت بل وتعلن قدسيتهم(١) فجاء كلام الإمام زيد كالسيف القاطع فى وجه الجميع.

ويستنتج الشيخ أبو زهرة من هذا النص ضمن استدلالاته الأخرى أن الأفضلية التى يقصدها الإمام زيد ليست بسبب قرابة على بن أبى طالب من الرسول ﷺ ، لأن الأفضلية ليست ملازمة للخلافة لأنه ينبغى أن يكون الاختيار لمن هو أقدر على شغل هذا المنصب، مطاعاً من الناس، لايسبب فتنة لتولية إمارة المسلمين، ويتم اختياره عن طريق الشورى بواسطة المسلمين الذين يؤمرون الأصلح لهم لا بأن يفرض عليهم شخص معين .

فالأمر إذاً موكول فى النهاية للمسلمين يختارون ما يشاؤون ولو وجد من هو أفضل منه (فكم من فضلاء فى أقوامهم، وفى ذات أنفسهم ينحون عن الحكم، أو لايؤلونه لأن الأقوام لايدينون لهم بالطاعة، ولايرون المصلحة فى توليهم، بل يرون أن الطاعة والمصلحة فى تولية غيرهم(٢) . ولكن إذا جازت إمامة المفضول مع قيام الأفضل - لتبرير شرعية خلافة أبو بكر مع أفضلية على - فإن على الإمام المفضول أن يرجع إلى الأفضل فى الأحكام ويحكم بحكمه فى القضايا(*).

---

(١) النشار - نشأة الفكر الفلسفى - ج٢/ ١٦٠ .

(٢) الشيخ أبو زهرة - الإمام زيد ص ١٨٩ .

(*) د. أحمد محمود صبيحى - الزيدية ص ٧٢، ٧٣ - إمامة المفضول لدى الزيدية ليست قاعدة عامة وإلا سقط مبرر الخروج، وإنما قال بها الإمام زيد لتبرير شرعية خلافة أبى بكر ولاسقاط دعوى الطاعنين فيه، فالقول بإمامة المفضول استثناء خاص لأبى بكر، ولذا فائمة الزيدية بعد زيد يقولون بوجوب إمامة الأفضل، ولايقولون بإمامة المفضول اطلاقاً غير أهل السنة .

ثانيا: الخروج:

ومن الاتجاهات التى انفرد به الإمام زيد عن الشيعة، اشتراطه أن يخرج الإمام داعياً لنفسه، نافضاً عن نفسه ثوب التقية، وقد جاء فى سياق المناظرة التى كانت بينه وبين أخيه محمد الباقر كما نقلها الشهرستانى أن الباقر قال له تعليقاً على هذا الشرط:

(على قضية مذهب والدك ليس بإمام فإنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج)(١) .

ويوضع الإمام لشرط الخروج أنه لم يكتف برفضه نظرية انتقال الخلافة بالإيصاء أو الوراثة، بل وضع مبدأ جديداً يحتم على الفاضل من آل فاطمة أن يدعو لنفسه على الملأ - أى يتقدم لترشيح نفسه للإنتخاب بأسلوبنا السياسى المعاصر - ليظهر فضائله ومزاياه ومقدرته (لينظر الناس فى مدى المصلحة فى توليه، وللموازنة بينه وبين غيره فى أيهما أصلح)(٢) .

وقد ذهب الدكتور النشار إلى أن الإمام زيد بوضعه سنن الخروج ومخالفته بهذا المبدأ لإجماع أهل البيت، واعتقاد الزيدية بعده لنفس الرأى، أن أصبحت الزيدية (خوارج) أيضاً، كما يعتبر أن وضعه شرط المصلحة أساساً للإمامة فوق القرشية والفاطمية قد اتجه به أيضاً اتجاهاً خارجياً(٣) .

وأقل مقدار للخروج أن يكونوا معه كعدة أهل بدر يخرجون على سلطان البغى لقوله تعالى ﴿ فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ .

---

(١) الشهرستانى- الملل والنحل ج١/ ٢١٠ط الثانية - دار المعرفة ببيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٤م.

(٢) الشيخ أبو زهرة - الإمام زيد ص ١٩٢ .

(٣) النشار - نشأة الفكر ج١٦٢/٢، ١٦٤.

ثالثاً : الإمام الفاطمي :

اشترط زيد فى الإمام أن يكون فاطمياً، حسناً كان أم حسنياً، مخالفاً الإمامية فى اشتراطهم كونه حسينياً (كل ما يجب توفره فى أحدهم هو أن يكون عالماً زاهداً شجاعاً سخياً يخرج منادياً بالإمامة - وليس الإمام منا من جلس فى بيته، وأرخى ستره، وثبط عن الجهاد، ولكن الإمام منا من جاهد فى سبيل الله حق جهاده ودافع عن رعيته[١] .

ومع هذا فليست الخلافة عنده بالوراثة وإنما وضع هذا الشرط - أى كون الإمام من أولاد فاطمة - كشرط أفضلية لاشرط صلاحية الخلافة ، لأن المصلحة هى موضع الاعتبار عنده .

فإن (مصلحة المسلمين وإقامة عمود الدين والعدالة هما الأمران اللذان يلاحظان فى تقديم المفضول على من هو أفضل منه مناباً ونسبا)[٢] .

ووجه الاختلاف بين رأى الإمام زيد وما أعده الشيعة فى عصره - أن الكيسانية ترى الإمامة فى محمد بن الحنفيه وهو علوى ليس بفاطمى - بينما الإمام عند الشيعة الإمامية يجب أن يكون فى فاطمة من أبناء حسن أو الحسين كما أسلفنا .

ومع أن هذا الأصل من أصول الإمام زيد هو الوحيد الذى تفوح منه رائحة التشيع[٣] فقد أغضب فريقى الشيعة فى ذلك الوقت وانفصلت الزيدية كمذهب مستقل عن الكيسانية والإمامية.

---

(١) الشهرستانى - الملل والنحل ج١/٢٠٧.

(٢) الشيخ أبو زهرة - الإمام زيد ص ١٩٠ .

(٣) د. النشار - نشأة الفكر ج١٩٢/٢ .

رابعاً: الإمام غير معصوم:

دأب الإمام زيد على تحصيل الأصول والفروع لكى يتحلى بالعلم كما يذكر الشهرستانى وتتلمذ على واصل بن عطاء شيخ المعتزلة[١] ثم كانت رحلاته العديدة التى استمتع خلالها الى آراء الشيعة. كل هذا جعله يفند اعتقادات الفرق الشيعية وخاصة آراء الغلاة منهم[٢].

إن الأئمة من أهل البيت النبوى لم ينادوا أبداً بعصمة الأئمة ولكن أتباعهم فعلوا هذا، فأوقفهم الإمام زيد عند حدهم فلا عصمة ولا قداسة للإمام عنده لأنه خرج من حصيلته العلمية الوفيرة إلى أن (الإيمان بالاجتهاد وبالرأى، واجتهد هو وقاسى فى نفهه، وآمن بالعدل والتوحيد)[٣].

ولم يكن من المعقول أن ينادى الإمام زيد بن على بإمامة المفضول مع قيام الأفضل، ثم يرى بعد هذا أن الإمام معصوم من الخطأ، لأنه لو كان كذلك لأصبح الأجدر بالإمامة. فالعصمة ناتجه عن توارث الأئمة منذ النبى ﷺ. وكما آمن المسلمون بالعصمة له صلوات الله وسلامه عليه لأنه يتصرف بالوحى المنزل إليه. اعتقد الشيعة بعصمة الإمام وقيامه حجة على العباد فى أمور الدين.

ولكن الإمام زيد نفى هذه العصمة، لا لاعتقاده الجازم بوحى من علمه بالحديث النبوى وهو الراوى له فحسب، بل لأنه أيضاً اعتبر الخلافة أمراً مصلحياً[٤] فليس الإمام هو المرجع فى الدين فإذا وقع اختيار المسلمين على الشخص الأصلح للخلافة تم لهم ما أرادوا، وإن استكمل الشرائط كلها فكان من أولاد فاطمة أصبح هو الأفضل ويجوز على كليهما الخطأ.

---

(١) الشهرستانى - الملل والنحل ج١/٢٠٨.

(٢) د. مصطفى حلمى - نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى ص ٢٥٤.

(٣) د. نشار - نشأة الفكر ج٢/١٦٣.

(٤) الشيخ / أبو زهرة، الإمام زيد ص ١٩١.

خامسا: جواز إمامين معا فى قطرين متباعدين

يستجمعان شروط الإمامة:

أجاز زيد خروج إمامين فى قطرين يتعذر وصول دعوة الإمام الأول الى القطر الثانى على أن يستجمع كل منهما شروط الإمامة حتى إذا انتصرت الدعوة واتسعت الرقعة إلى أن تقارب القطران فإن الأمر يكون لأسبقهما إلى الدعوة، فإن لم يعرف أسبقهما كان الأمر لأكفأهما(١) .

ولايعنى زيد بذلك تقسيم الدولة الإسلامية، وإنما أن تتعدد الثورات فى البلدان وأن تباعد حتى تعجز السلطات الغاشمة القائمة عن مواجهتها معاً وذلك أدعى إلى انتصارها(٢) .

ويذكر الشهرستانى أنه لهذا السبب اعتبر بعضهم إمامة كل من محمد وأخيه إبراهيم ابنى عبد الله بن الحسن بن الحسين اللذين قتلا لخروجهما فى أيام أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى صحيحة .

ويرى الدكتور النشار أن هذا الشرط لم يصدر عن الإمام زيد وإنما وضعه الزيدون الذين تابعوا محمداً وإبراهيم(٣) .

ولكن الشيخ أبو زهره يرجح اعتماد الإمام زيد على اتساع الرقعة الإسلامية فى وضعه لهذا الشرط لأنه قد تكون لمصلحة فى تجزئه الحكم مع تعاونهما معاً كما يصلح هذا الشرط أيضاً لتنفيذه فى عصرنا الحاضر لتعود الخلافة الإسلامية منفذة لأحكام الشرع (على أن يكون ثمة تعاون صادق يحقق الوحدة

---

(١) الشهرستانى، الملل والنحل، ج١/ ٢٠٧.
(٢) أحمد محمود صبيحى، الزيدية ص ٧٢ - ٧٣.
(٣) د/ النشار ، نشأة الفكر ج٢/١٦٢، ١٦٣ .

الإسلامية)[١] - وينطبق عليه قول الله تعالى : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ وقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم﴾ .

سادساً: نفى المهدوية:

وأخيراً ... فإن الإمام زيد أنكر على الكيسانية دعواهم بقاء محمد بن الحنفية على قيد الحياة وأنه المهدى المنتظر لملء الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، تلك النظرية التى اعتنقها الشيعة الاثنى عشرية فيما بعد ونقلوا المهدوية إلى الإمام الثانى عشر الغائب المنتظر.

وتمشياً مع نظرية الإمام زيد فى الإمامة، فضلاً عن تلمذته لواصل بن عطاء - زعيم المعتزلة، فإن فكرة الإمام المستور، أو المهدى المنتظر تبدو غير مقبولة .

ولكنه بخروجه على هشام بن عبد الملك أعطى لمصطلح المهدية معنى جديداً يمكن أن يقصد به (من يقوم بهداية الناس ومجالدة الإمام الظالم)[٢] .

كتبت الشهادة للإمام زيد فى طرقات الكوفة، واختلفت الفرق الزيدية بعده، وتعددت أسماؤها مع تبعيتها لأفكاره فى بعضها واختلافها فى البعض الآخر، وليس هذا المقام مقام الحديث عن هذه الفرق وآرائها - المهم أن الحسن بن زيد (٢٥٠هـ) مؤسس الدولة الزيدية فى طبرستان كان يسلك مسلك الإمام زيد بن على - ويسير على منهجه .



(١) الشيخ / أبو زهرة، الإمام زيد ص ١٩٤ .

(٢) النشار : نشأة الفكر، ج٢/١٦٥ .

المبحث الثالث

ظروف قيام الدولة الزيدية فى طبرستان سنة ٢٥٠هـ

أولاً: ظروف قيام هذه الدولة

الظروف السياسية والإجتماعية التى كانت تسود الدولة العباسية فى عصرها الثانى والأوضاع السياسة التى كانت تعيشها الخلافة العباسية فى بغداد آنذاك كان لها بالإضافة إلى عوامل أخرى تأثيرها الكبير فى قيام هذه الدولة، ويمكن أن نبرز أهم هذه العوامل :

الظروف السياسية والداخلية للدولة العباسية :

استقلت كثير من الولايات الإسلامية عن الدولة العباسية، فقامت الدولة الأموية بالأندلس (١٣٨هـ-٣٩٧هـ) على يد عبد الرحمن الداخل، وتأسست دولة الأدارسة فى المغرب الأقصى (١٧٢هـ - ٣٦١هـ) على يد ادريس بن عبدم الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، ودولة الأغالبة فى تونس (١٨٤هـ-٢٦٩هـ) على يد إبراهيم بن الأغلب، وكذلك كانت سيادة الطولونيين على الشام (٢٥٤-٢٩٢هـ) .

أما فى الشرق فقد قامت الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ) فى خراسان ومنهم انتقلت السلطة إلى أسرة جديدة هى الدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠هـ) التى قامت على يد يقعوب بن الليث الصفار ، والدولة السامانية (٢٦٦-٣٨٩هـ) والتى تفرعت عنها الدولة الغزنونية (٣٥١-٥٨٢هـ)(١) .

---

(١) الطبرى : تاريخه ، أحداث السنوات المشار إليها بعاليه ، وابن الأثير، الكامل فى التاريخ، أحداث عام ٣٥١هـ وما بعدها .

من ذلك ندرك إلى أى مدى بلغ الضعف بالخلافة العباسية، مما يعنى ضعف القوة المركزية فيها، وهذا الضعف يتيح بدوره الفرصة أم الطامعين لإقامة كيانات سياسية خاصة بهم.

ويرجع ضعف هذه الدولة الكبيرة إلى عدة عوامل :

- ما سنه المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ) للخلفاء العباسيين من بعده من تأليف جيش الدولة من الأتراك لما اتصفوا به من شدة البأس، وقد خصهم المعتصم بالنفوذ، فقلدهم قيادة الجيش وجعل لهم مركزاً فى مجال السياسة والحرب، وحرم العرب مما كان لهم من قيادتي الجيوش، وآثر الأتراك المجلوبين على الفرس والعرب فى كل شيء، لكنهم أساءوا استعمال هذه القوة.

- وهكذا كان من آثار سياسة اصطناع العنصر التركى، أن انتقل مقر الخلافة من العاصمة الكبرى بغداد إلى سامرا، وكانت هذه السياسة نذيراً بسوء الحال واضطراب الأمور فى تلك المدينة الجديدة، التى بلغت فى الحضارة شأوا بعيداً ثم أفسدها وخربها الخلاف والعصبية بين أمراء الترك، فتحول الخلفاء عنها إلى بغداد، وكان أول من فعل ذلك المعتضد بالله سنة ٢٨٩هـ[١] .

ولما ولى الواثق الخلافة فى ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ احتذى بأبيه المعتصم فى الاكثار من الأتراك والاعتماد عليهم حتى صارت فى قبضة يديهم بعض المناصب العليا، فاستخلف اشناس التركى على السلطنة وألبسه تاجاً مرصعاً بالجواهر وقد علق السيوطى على ذلك بقوله (وأظن أنه أول خليفة استخلف سلطاناً فإن الترك إنما كثروا فى عهد أبيه - كما أسند الواثق إلى أشناس أعمال الجزيرة والشام ومصر، لكنه مع ذلك ظل مقيماً بسامرا مركز الخلافة، وولى على هذه

(١) المسعودى، مروج الذهب ج٤/٢٧٦ وما بعدها، ط دار المعرفة بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣.

الولايات ولاه من قبله[١] وعهد الواثق أيضاً إلى اتباخ القائد التركى بولاية خراسان والسند وكور دجلة[٢] .

وصفوة القول أن سياسة استخدام الأتراك فى الجيش وإيثارهم بالمناصب العالية فى عهد المعتصم والواثق، حملت العرب على الانصراف عن تأييد العباسيين وخاصة بعد أن أهمل شأنهم وحرموا من الأرزاق التى كانت لهم . ولم يكن لدى هؤلاء العرب القوة التى يستطيعون بها استعادة سلطانهم، فقد كانوا متفرقين. فعرب الشام وعرب مصر، وعرب بلاد المغرب، كل هؤلاء حرص على العمل لمصلحته دون سواه مما أدى إلى فشل القضية التى كانوا يدافعون عنها، وبقاء الأتراك على استبدادهم بالسلطة، فكان ذلك نذيراً بظهور أعراض الضعف على الخلافة العباسية[٣] .

نضيف إلى ذلك أن استئثارالأتراك بالسلطة والنفوذ دون العرب والفرس، كان سبباً من أسباب قيام الدول المستقلة عن الخلافة العباسية - فكانت البداية قيام الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ) فى خراسان فتبعتها الدول الأخرى .

- ازداد نفوذ الأتراك فى مستهل القرن الثالث الهجرى، وصاروا مصدر قلق واضطراب، فهم يكرهون الفرس والعرب معاً، وهم أنفسهم ليسوا فى وفاق بعضهم مع بعض، ولاينقطعون عن المؤامرات والدسائس ويتعصب كل فريق منهم لأحد قوادهم، كذلك أصبحوا يتحكمون فى الخلفاء ويتدخلون فى توليتهم وعزلهم[٤] وازداد نفوذهم بعد قتلهم المتوكل سنة ٢٤٧هـ[٥] ثم ساءت حالة

(١) السيوطى، تاريخ الخلفاء ص ٣٤٥ ط. تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

(٢) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى ج٣/٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٣) د. محمد جمال سرور - تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ٢٨، دار الفكر العربى ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م .

(٤) أحمد أمين : ظهر الإسلام ج١/ ١٠ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.

(٥) المسعودى: مروج الذهب ج٤/٢٦٦ ، ٢٧٠ ط. دار المعرفة ببيروت .

الخلافة العباسية فى عهد المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ) بسبب صغر سنة وعجزه عن الإشراف على شئون الدولة، وازدياد نفوذ الأتراك فضلاً عن تدخل النساء وأفراد حاشيته فى الحكم، فقد وصف ابن الأثير حالة الدولة فى عهد المقتدر بقوله : إن المقتدر أهمل من أحوال الخلافة كثيراً، وحكم فيها النساء والخدم، وفرط من الأموال، وعزل من الوزراء، وولى ما أوجب طمع أصحاب الأطراف والنواب وخروجهم عن الطاعة. وكان جملة ماأخرجه من لأموال تبذيراً وتضييعاً فى غير وجه نيفاً وسبعين ألف ألف دينار، سوى ماأنفقه فى الوجوه الواجبة، وإذا اعتبرت أحوال الخلافة فى أيامه وأيام المكتفى ووالده المعتضد رأيت بينهما تفاوتاً عجيباً[١] .

ونقول إن الدولة العباسية قد طرقها الهرم بفساد الخلفاء واتخاذهم الأتراك أنصاراً وشيعة من غير جلدتهم، فكان داء وبيلاً على الدولة.

وقد علل ابن خلدون هذا الطور فى حياة الدولة (بأنه طور الاسراف والتبذير، وصاحب الدولة فيه متلف لما جمع أولوه فى سبيل الشهوات والملاذ، واصطناع اخوان السوء، وتقليدهم عظمات الأمور، وفى هذا الطور تحصل فى الدولة طبيعة الهرم، ويستولى عليها المرض الى أن تنقرض[٢] .

واجمالى القول فى هذه الفقرة.. أنه ابتداء من سنة ٢٢٢هـ، أخذت الدولة العباسية فى النزول شيئاً فشيئاً، واجترأ الأمراء بالأطراف على الاستقلال وصار أمر العباسيين يضمحل حتى لم يبق بيدهم إلا العراق .

ازداد العنصر الخرسانى قوة لأن المأمون ارتكز عليه، وظهر البيت الطاهرى وهو أول بيت من الموالى منح خراسان على طريقة الاستقلال، والذى كان يزيد من

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج٧/٧٣، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢) ابن خلدون : مقدمته ج٢/٤٩٤ - ٤٩٥ط. أولى ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

قوة هذه العناصر أن المأمون وأخاه المعتصم كانا يميلان إلى الاستكثار من شبان الأتراك الذين كانوا يفدون على بغداد بكثرة، وقد تألفت منهم جيوش ظن الخليفة العباسى أنه يعتمد عليها فى إقامة دولته ويستغنى عن العرب وعصبية العرب وعن أبناء خراسان أيضاً. «وهذا خطأ غريب ربما كانت الدولة العباسية أول من وقع فيه، وهو أن تعتمد دولة من عنصر على عنصر آخر فى تأييد قوتها مع أن هذا العنصر يباينها فى الأخلاق والعادات»(١) .

زرع المعتصم هذا العنصر الجديد فى الدولة ومادرى أن بعمله هذا قد سلما عز الخلافة الى غلمان الأتراك يتصرفون فيها بإشارة رؤسائهم الذين منحهم المعتصم حق قيادة الدولة .

كان فى حياة هذا العنصر الجديد ضعف العنصر العربى ضعفاً عظيماً، فتفرق قبائل وعصائب، وعاد الكثير منها إلى مواطنها فى القفر والصحراء وليس لهم عصبيات يستندون إليها فى حياتهم .

وكماذكرنا آنفاً كان تغلب هذا العنصر ولعبه برقاب الخلفاء من بنى العباس ذا نتائج سيئة فإنه أضعف صولة الخلفاء، وقلل من قيمة أقوالهم وأحوالهم وأماالأطراف فقد رأى الولاه أنه قد آن لهم أن ستقلوا بماتحت أيديهم لأنهم ليسوا أقل من أتراك بغداد الذين استأثروا بالنفوذ فى عاصمة الخلافة نفسها ولم يمض إلا قليل من الوقت حتى صارت الدولة العباسية فى منتصف القرن الثالث محاطة بدول مستقلة فى الإدارة عن سلطان الخلفاء، وقد حصل ذلك فى المغرب والمشرق والجنوب والشمال فى آن واحد (ولا قبل للدولة العباسية بارسال الجنود لإعادة الحكم العباسى الفعلى إلى تلك الولايات لأن غلمان الأتراك قلما يهمهم ذلك، ماداموا آخذين بحلاقيم الخلفاء فى حاضرة الدولة فاضطر بنو العباس إلى الرضا

---

(١) محمد الخضرى: محاضرات فى تاريخ الدولة العباسية ص ٢٧٠ المكتبة التجارية بالقاهرة.

بما بذل لهم)(١) .

ولقد انتهزت بيزنطة ماألم بالدولة العباسية من ضعف فركزت هجومها المستمر عليها ويكفى أن تنظر فى المصادر التاريخية فلا تجد عاماً إلا هاجم فيه الروم الثغور الإسلامية سواء ما كان منها برياً أو جزرياً والدولة العباسية عاجزة عن الرد اللهم إلا فى بعض فترات الصحوة.

ويمكن أن يكون العامل الاقتصادى هو المحور الذى دارت حوله بقية العوامل السياسية والاجتماعية، فكانت الظروف المالية للدولة الإسلامية منذ بداية القرن الثالث الهجرى سبباً في كثيرمن التغيرات التى طرأت على الدولة الإسلامية، فقد أصيبت مالية الدولة بالانهيار بسبب الحروب الأهلية تارة وادخال عنصر جديد فى الجيش وهو العنصر التركى، وقد نتج عن هذه الاضطرابات المالية ظاهرة تغلب أمراء الأطراف واستقلال الولايات البعيدة مما أذن بانتهاء عصر وبدء عصر ثان له خصائصه ومميزاته ، ويمكن أن يطلق عليه عهد الانفصال أو انحلال الدولة العباسية .

ثانياً: خروج العلويين الزيديين ثائرين على ظلم الأمويين والعباسيين:

مر بناء أنه من مبادىء الزيديين: كل فاطمى شجاع عالم زاهد خرج ثائراً على الظلم يكون إماماً، وليس الإمام منا من جلس فى بيته وأرخى ستره، وثبط عن الجهاد ولكن الإمام منا من جاهد فى سبيل الله حق جهاده، ودافع عن رعيته، لذا لم تنته الحركة التى قام بها زيد بن على فى الكوفة للتخلص من الحكم الأموى بوفاته، فظل فريق من أتباعه الذين عرفوا بالزيدية موالين له، بايعوا ابنه يحيى الذى فر إلى خراسان سنة ١٢٥هـ فأقام بها حتى توفى هشام وخلفه الوليد بن يزيد، فعمد إلى نصر بن سيار واليه على خراسان الى مطاردته،

(١) نفس المرجع.

وكان يحيى فى سبعين رجلاً فهزم جيشاً من عشرة آلاف، ثم قتل وصلب بالجوزجان (كورة من كور بلخ بخرسان) فلم يزل مصلوباً حتى ظهر أبو مسلم واستولى على خراسان فأنزله وصلى عليه ودفنه وأمر بالنياحة عليه فى خراسان، وأخذ أبو مسلم ديوان بنى أمية وعرف منه أسماء من حضر قتل يحيى فمن كان حياً قتله، ومن كان ميتاً خلفه فى أهله بسوء(١) .

ونحن إذ نشك فى نهاية هذه الفقرة، وهى ما قام به أبو مسلم الخراسانى من الصلاة عليه، وتأديب من قتلوه، إذ أنه لدينا حادثة علوية أخرى قامت فى خراسان قام بها عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الذى استطاع أن يبسط سلطانه على منطقة واسعة فى شرق الدولة الإسلامية ضمت بلاد الجبل والأهواز وفارس وكرمان، وأتته جماعات من بنى أمية وبنى العباس ممن لم يأمنوا على أنفسهم فى أوطانهم، فاستتروا تحت جناحه طامعين منه أن ينالوا صلة أو ولاية، بل إن الخوارج الذين طردهم مروان بن محمد من الموصل فروا إليه فى أواخر سنة ١٣٩هـ. ولكن الأمويين لم يتركوا بن معاوية، فعهد مروان بن محمد إلى واليه بالعراق يزيد بن عمر بن هيبره بمحاربته، وأحلت به الهزيمة عند مروا الشاذان سنة ١٣٠هـ وقد قصد خراسان طمعاً فى انحياز أبى مسلم الخراسانى إليه لأنه يدعو إلى الرضا من آل محمد، ولكن أبا مسلم أعرض عنه، بل أمر والى هراه بالقبض عليه وقتله وبذلك قضى بالفشل على آخر ثورة قام بها العلويون فى عهد الدولة الأموية(٢) .

وكانت الزيدية هى القاعدة التى استند عليها العلويون فى ثوراتهم ضد الدولة العباسية بعد أن كشف العباسيون عن نواياهم واستبدوا بالسلطان ولم

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج٤/٢٥٩ .

(٢) ابن الأثير: الكامل، حوادث سنة ١٣٠هـ.

يحققوا أمل الأمة فيهم فى إقامة حكم عادل، وهذه الثورات هى امتداد لثورة زيد بن على وابنه يحيى بن زيد فى العصر الأموى .

بدأ الصراع رهيباً بين العلويين والعباسيين، فقد قاسى الزيدون العلويون قسوة من العباسيين أضعاف ماإحتملوه من طغيان الأمويين، فقد ذكرت المصادر التاريخية[١] قيام محمد النفس الزكية بثورته بالمدينة المنورة ، وناصره كثير من الناس الأتقياء، وبدأ أن ثورته كانت محاولة يائسة، أو انتفاضة انتحارية لأن أحداً لم يكن يتوقع لهذه الثورة أن تنجح .. وربما كان أصحاب محمد أو أكثرهم قد اندفعوا لتأييده بدافع الحماس العاطفى والدينى فى البداية، وبعد أن أدركوا صعوبة الموقف سارعوا إلى الفرار من الحرب بغير حرج أو مبالاة. وأمثال هذه الظواهر شوهدت أيام الحسين بن على، وزيد بن على. كما قام بالبصرة فى نفس الوقت إبراهيم بن عبد الله، وانضم إليه الكثير من الزيدية والمعتزلة، وقد انتهز إبراهيم فرصة الحرب الدائرة مع أخيه النفس الزكية فمد سلطانه حتى شمل الأهواز وواسط، ثم انتهى الأمر بهزيمته على مقربة من الكوفة[٢] .

وقد قتل فى هذه المعارك عدد كبير من البيت العلوى، كما قبض على كثير منهم، وحبسهم أبو جعفر المنصور فى سرداب على شاطىء الفرات[٣] كما ذكرت المصادر التاريخية[٤] عن ثورة علوية قادها الحسين بن على بن الحسين من زعماء بنى الحسن فى المدينة المنورة فلما اتصل ذلك بمسامع الخليفة العباسى الهادى بعث إليه جيشاً هزمه فى «فخ» وهو واد فى طريق مكة، حيث قتل الحسين، وقتل معه بعض أهل بيته، وكانت هذه الوقعة من الشدة بحيث قيل (لم

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ج٣/٣٠٦ ط. دار المعرفة بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣م.

(٢) المصدر السابق : ج٣/٢٢٣.

(٣) المسعودى: مروج الذهب ج٣ / ٢٢٥.

(٤) الطبرى: تاريخه ج٨/١٩٣ .

تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ سنة ١٦٩هـ)وكثر شعر الشيعة فى رثاء قتلاهم[١] .

وعلى أثر فخ سنة ١٦٩هـ فر ادريس بن عبد الله الى المغرب، وهناك أظهر صحة نسبه وقرابته من رسول الله ﷺ وأظهر حقه فى الخلافة، والتف حوله البربر وبايعوه سنة ١٧٢هـ[٢] .

وفى سنة ١٧٦هـ ظهر يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بالديلم[*] ، واشتدت شوكته وكثر جموعه وأتاه الناس من الأمصار، فاغتم هارون الرشيد لذلك فندب إليه الفضل بن يحيى البرمكى فى خمسين ألفاً وولاه جرجان وطبرستان والرى وغيرها وحمل معه الأموال، فكاتب يحيى بن عبد الله ولطف به وأشار عليه وبسط أمله، وكاتب صاحب الديلم وبذل الف الف درهم على أن يسهل له خروج يحيى بن عبد الله، فأجاب يحيى إلى الصلح على أن يكتب له الرشيد أماناً بخطه يشهد عليه القضاه والفقهاء وجله من بنى هاشم، فأجابه الرشيد الى ذلك وبذل له الأمان مع هدايا وتحف وأمر له بمال كثير ثم إن الرشيد حبسه فمات فى الحبس[٣] .

ونقول تعقيباً على ثورة يحيى بن عبد الله أنه لم يحسن اختيار المكان لأنه كان فى متناول البطش العباسى، وقد استفاد من ذلك أخوه ادريس الذى أسس دولة الأدارسة فى المغرب الإسلامى معتمداً على عناصر جديدة مثلما فعل العباسيون فى اعتمادهم على الفرس فى إقامة دولتهم.

(١) المسعودى : مروج الذهب ج٣/٣٣٧.

(٢) الطبرى : تاريخه حوادث عام ١٦٩ - ١٧٢ هـ.

(*) بنو زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب - ابن حزم - جمهرة أنساب العرب ص ٥٦ - ٦١ دار المعارف بمصر ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج٥/ ٩٠ - دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

على أن ظهور الإمام الزيدى فى بلاد الديلم والتفاف الناس حوله ترك انطباعاً عند أهلها على الرغم من قصر اقامته بينهم فأقبلوا على التشيع، وتحمسوا لأهل البيت، وتطلعوا إلى اليوم الذى تتحقق فيه ما تصبوا إليه نفوسهم، وهو اليوم الذى يحكمهم فيه إمام من آل بيت رسول الله ﷺ - لذلك التفوا حول أفراد الطائفة الزيدية التى انتشرت فى هذه البلاد فراراً من بطش العباسيين، وبدأ الإسلام ينتشر فى هذه البلاد على أيديهم، لذلك فلا غرو أن ينتشر الإسلام فى هذه البلاد على مذهب الزيدية بصفة خاصة، وهذا هو ماحدث أيضاً فى طبرستان وجرجان، فقد انتشر الإسلام فيها قبل بلاد الديلم، وجهود الزيديين - الذى لجأوا إلى هذه البلاد - أثمرت فيها (إذا اعتنق أهلها المذهب الزيدى)(١) .

ولكننا نستدرك ونقول إن ثورة يحيى بن عبد الله كانت ترمى بلا شك إلى القضاء على الخلافة العباسية وإقامة خلافة علوية زيدية مكانها باعتبار أن ثورته كانت قريبة من مقر الخلافة العباسية ببغداد.

رأى العلويون فى الخلاف الذى وقع بين الأمين والمأمون فرصة لاظهار نشاطهم فبثوا دعاتهم فى أنحاء الدولة العباسية،وخرج على المأمون محمد بن إبراهيم العلوى المعروف بابن طباطبا بالكوفة سنة ١٩٩هـ، وصار يدعو إلى الرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة، وعاونه فى نشر دعوته قائد جنده أبو السرايا السرى بن منصور الشيبانى الذى استولى على الكوفة من يد واليها العباسى.

ولما توفى محمد بن إبراهيم، ولى ابا السرايا بدله غلاماً من العلويين يدعى

---

(١) الطبرى :تاريخه ج٢٦٦/٩ وما بعدها - ط٤ دار المعارف حوادث سنة ٢٥٠ هـ.

محمد بن محمد بن زيد، وضرب الدراهم بالكوفة ونقش عليها ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ كما أرسل ولاة من العلويين الى مكة، والمدينة والبصرة وغيرها من الأمصار الإسلامية(١) .

ولكنه هزم سنة ٢٠٠هـ وأخذ ينتقل من بلد إلى آخر ، فلما انتهى إلى جلولاء قبض عليه، وأرسل إلى الحسن بن سهل بالنهروان حيث أمر بقتله(٢) .

وكان المأمون رغم كثرة خروج العلويين فى عهده يعطف عليهم، ويتبين لنا ذلك مما أوصى به أخاه المعتصم قبل وفاته (وهؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه، فأحسن حجتهم وتجاوز عن مسيئهم وأقبل من محسنهم،و صلاتهم فلاتغفلها فى كل سنة عند محلها، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى»(٣) .

على أن سياسة المعتصم ازاء العلويين لم تكن أقل تعسفاً من سياسة من سبقه من العباسيين، فقد عمل على التخلص من محمد بن القاسم العلوى الذى كان يقيم بالكوفة - ثم خرج منها إلى الطالقان بخراسان يدعو إلى الرضا من آل محمد ﷺ ، فالتف حوله كثير من أهلها وازداد بذلك نفوذه، وظل يحارب جيوش المعتصم حتى تمكن عبد الله بن طاهر من القبض عليه، وأرسل به إلى المعتصم فحبس بسامرا سنة ٢٢٠ لكنه ما لبث أن هرب(٤) .

انقاد إلى محمد بن القاسم العلوى الكثير من الزيدية، ويزعم فريق منهم بنواحى الكوفة وجبال طبرستان والديلم وخراسان أنه لم يمت، وظل هذا الاعتقاد

(١) ابن الأثير: الكامل ج٥/٤١٦ ط. دار الكتب العلمية ١٩٨٧م حوادث سنة ١٩٩هـ.

(٢) المصدر السابق : ج٥/ ٤٢١ حوادث سنة ٢٠٠ هـ .

(٣) الطبرى : تاريخه ج٨/ ٦٤٩ ط. دار المعارف بمصر ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

(٤) السابق: ج٩/٧، ٨ .

سائداً كما يقول المسعودى سنة ٣٣٢هـ[١] .

ومما لاشك فيه أن العلويين لاقوا فى سبيل الوصول إلى الحكم الشيء الكثير من عسف وتنكيل الأمويين والعباسيين، لكن ذلك لم يثن من عزيمتهم، بل ظلوا يكافحون حتى نجحوا فى إقامة خلافة علوية فى بلاد المغرب الأقصى، ثم واصلوا نضالهم ضد العباسيين حتى استطاعوا بالتجائهم إلى الولايات البعيدة عن مراكز الخلافة أن يقيموا الإمارة الزيدية فى طبرستان سنة ٢٥٠هـ.

ويتبين من العرض السابق أن بلاد خراسان وما حولها كانت مسرحاً للعلويين فى ثوراتهم المتعددة إذ أن الفرس يميلون إلى أن يكون خليفة المسلمين علوياً، وقد قاتلوا فى هذا السبيل كثيراً، واتخذوا التشيع لبنى على بن أبى طالب مذهباً لهم، كما أن هذه البلاد تبدو معارضة للسلطة بسبب من واقع تركيبها الاجتماعى .

ثانيا : قيام الدولة الزيدية فى طبرستان :

ازداد نفوذ الزيدية بصورة واضحة فى طبرستان وجرجان وبلاد الديلم فى النصف الثانى للقرن الثالث الهجرى، حيث ظهر بالكوفة، يحيى بن عبد الله بن زيد بن الحسين بن على بن أبى طالب وأعلن الثورة ضد بنى العباس الذين أساءوا معاملته، وانضم إليه حشد كبير من الأعراب، وجماعة من أهل الكوفة، ودخل يحيى الكوفة فى عدد من الفرسان وسار إلى بيت مالها وأخذ ما فيه، وفتح السجون وأخرج من فيها ، ثم خرج من الكوفة إلى سوادها وتبعه جماعة الزيدية غير أن الوالى العباسى اشتبك معه وهزمه، وأوقع العباسيون بمن سار معهم من أهل تلك القرى، ولكن يحيى لم يستسلم للهزيمة، فعاد إلى الكوفة وقوى أمره، وعظم بأسه بمن انضم إليه من الزيدية ودعا الى الرضا من آل محمد ،

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ج٤ ٥٢ دار المعرفة بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

وعظم جمعه، ومن بايعه من الكوفة جماعة لهم بصائر وتدبير على تشيعهم وأقام يحيى على الكوفة، بعد العودة ويتأهب للقتال وعلى الرغم من ذلك هزمته القوات العباسية فى المعركة التى نشبت بين الفريقين، وقتل، وحملت رأسه الى الخليفة العباسى[١] .

على أن هذه الثورة - على الرغم من فشلها - كان لها رد فعل عنيف فى طبرستان وجرجان وبلاد الديلم، ذلك أن الناس فى هذه البلاد قد ساءهم أقوام محمد بن عبد الله ابن طاهر فى هذه البلاد - التى كان الخليفة العباسى قد أقطعه أياها - وطردوا عماله من بلادهم، لكن عمال الطاهرين لم يذعنوا لثورات أهالى هذه البلاد، بل أغاروا على بلاد الديلم وقتلوا وسلبوا[٢] فاستنكر أهل طبرستان هذا العمل العدائى على الديلم - الذين هم فى موادعة معهم - فعقدوا العزم مع الديلم على التحالف والتعاون والتآزر على حرب سليمان بن عبد الله - الوالى الطاهرى على بلادهم ، واتجهوا الى رجل من العلويين فى طبرستان يقال له محمد بن إبراهيم، يدعونه إلى أن يتقبل مبايعتهم له أميراً عليهم، ولكنه رفض وقال: إننى أدلكم على رجل منا وهو أقيم، ودلهم على منزل الحسن بن زيد - وسكنه بالرى - فوجه القوم الى الرى رسالة الى الحسن بن زيد يدعونه الى التوجه إلى بلادهم، فيلى حكمهم،و يرفع الظلم والجور عنهم - الذى لحق بيهم من بنى طاهر - فوافق الحسن بن زيد ولقيت هذه الدعوة ترحيباً منه[٣] وخصوصاً أنها جاءت معبرة عما تطلع إليه الأئمة الزيدية منذ وقت طويل حول تحقيق غايتهم،وحلمهم المنشود فى تولى حكم البلاد - على حسب ما يرونه - وهو أن حكم المسلمين يجب أن ينحصر فى آل بيت رسول الله ﷺ[١] .

---

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ج١١/٤ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٢) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج٥/٣١٧ دار الفكر العربى بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٣) تاريخ الطبرى ج٩/ ٢٧١-٢٧٣ ط. الرابعة دار المعارف.

على كل حال توجه الحسن بن زيد الى طبرستان، وأجمع طبرستان وبلاد الديلم أمرهم على مبايعة الإمام الزيدى، والالتفاف حوله وقتال الوالى الطاهرى سليمان بن عبد الله فطردوا عماله من بلادهم،و ساروا بقيادة الحسن بن زيد فى هذه البلاد ودخل هو وأنصاره من أهل هذه النواحى «آمل»، واشتبكوا مع الجند الطاهرى هناك، وأوقعوا بهم الهزيمة، ودخلوا آمل، وأجمع الناس على مبايعة الإمام الزيدى وتقلد حكم البلاد ، وكان عليه أن يقضى على كل محاولة تعترضه من جانب الجند الطاهرى واشتبك معهم فى معركة ضارية انتصر فيها على أعدائه الطاهريين واستولى الحسن بن زيد على مدينة سارية وبذلك آلت طبرستان كلها الى الإمام الزيدى، وأصبح حاكمها وإمامها[٢] .

كما لم يكتف الحسن بن زيد بحكم طبرستان، بل عول على الاستيلاء على الرى فأرسل فرقة من جيشه وأسند قيادتها الى رجل من أهل بيته، وتمكنت هذه الفرقة من طرد عمال الطاهريين، واستخلف بها رجلاً من العلويين يقال له محمد بن جعفر، وبذلك اتسعت الدولة الزيدية الجديدة وحكمت طبرستان والرى[٣] .

على أن محمد بن جعفر لم يلق حكمه تأييداً من أهل الرى بل استاءوا منه، فاستعان بعض أهلها بمحمد بن طاهر بن عبد الله فأرسل إليها قائداً من قبله لاستعادتها يقال له محمد بن مكيال، فالتقى مع محمد بن جعفر فى معركة خارج الرى، انتصر فيها القائد الطاهرى على القائد العلوى، ودخل الرى. على أن الحسن بن زيد لم يتغاضى عن الهزيمة التى لحقت بقواته، وانفصال الرى عن دولته، بل أرسل جيشاً إلى الرى انتزعها واستردها من محمد بن ميكال، وبذلك

---

(١) ابن الأثير ج٦/٢٣٣ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م حوادث ٢٥٧هـ.

(٢) تاريخ الطبرى ج٩/٢٤٢.

(٣) المسعودى : مروج الذهب ج٤/١٥٤.

عادت الري الى حوزة الأمير الزيدى[١] .

وقد دخل الحسن بن زيد فى صراع متواصل مع ولاة الأقاليم المجاورة لإمارته، فيذكر الطبرى[٢] أنه فى عام ٢٥٥هـ - دخل مفلح (أحد ولاه الطاهريين) طبرستان وكانت بينه وبين الحسن بن زيد وقعه هزم فيها مفلح الحسن بن زيد فلحق بالديلم، ثم دخل مفلح آمل، وأحرق منازل الحسن بن زيد، ثم توجه نحو الديلم فى طلب الحسن ابن زيد ثم انصرف عنها لأن الأوامر قد صدرت إليه من بغداد بالعودة لاخماد ثورات الأتراك هناك .

وفى سنة ٢٥٧ هـ قصد الحسن بن زيد جرجان واستولى عليها وفشل الجند الطاهرى فى الحيلولة بين الحسن وبين الاستيلاء عليها، وامتلك الحسن جرجان وقتل كثيراً من الجند الطاهرى، وغنم مغانم كثيرة، وبذلك انضمت جرجان الى الدولة الزيدية[٣] .

كما يذكر ابن الأثير[٤] أنه فى عام ٢٦٠هـ واقع يعقوب[*] بن الليث صاحب سجستان الحسن بن زيد، لأنه آوى أحد منافسى يعقوب بامارته، فهزمه ودخل طبرستان ولكن الحسن بن زيد قد تحصن بجبال الشرز، وهناك أدركت يعقوب الأمطار أربعين يوماً، فلم يتخلص من موضعه ذلك إلا بمشقة شديدة، وهلك عامة ما كان معه - وكانوا أربعين ألفاً، وانصرف عنها، وقد أخرب الحسن بن زيد القناطر، ورفع المعابر، وعور الطرق، وعسكر الحسن بن زيد على باب سارية متحصناً بأودية عظام، فانصرف يعقوب بن الليث عن طبرستان إلى ناحية

---

(١) الطبرى: تاريخه ج٩/٥٠٦ ط دار المعارف حوادث سنة ٢٥٩هـ.

(٢) الطبرى : تاريخه ج٩/٣٨٢ ط الرابعة دار المعارف.

(٣) المسعودى : مروج الذهب ج٤/٢٦٦.

(٤) ابن الأثير : الكامل ج٥/٣٧١ دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(*) مؤسس الدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠هـ) ابن الأثير ج٦/١٩٧ وما بعدها .

الرى وخرجت الإمارة الزيدية من هذه لمحنة قوة ظافرة.

ونعزو نجاح الحسن بن زيد فى تأسيس دولته أنها نشأت فى وقت كانت الدولة الطاهرية تسير فى طريق التدهور والانحلال، فقد كان محمد بن طاهر - آخر حكام الدولة الطاهرية - أميراً ماجناً - يميل الى اللهو والعبث فضعف أمره كاحاكم، وعجز عن اخضاع الثورات الى قامت ضده، ولما ازدادت الاضطرابات فى كل الدولة الطاهرية، استنجد أهل خراسان بيعقوب بن الليث الصفار لإعادة الأمن والطمأنينة إلى بلادهم، فوجد الأمير الصفارى الفرصة مواتية لتوسيع رقعة دولته على حساب الدولة الطاهرية المتداعية فزحف بجيشه الى نيسابور سنة ٢٥٩هـ وقبض على محمد بن طاهر ، وعلى أهل بيته، وبذلك زالت الدولة الطاهرية(١) .

ومن ناحية أخرى كانت الخلافة العباسية مشغولة عن هذا كله بثورة الزنج فى العراق والأهواز، والتى كانت تهدد الخلافة العباسية، لذلك عجزت الخلافة أو شغلت عن القضاء على الدولة الزيدية الجديدة.

ولاشك أن التيارات السياسية والدينية التى سادت العصر العباسى الثانى، رغم اختلاف بعضها عن البعض الآخر فى المنهج والأسلوب كانت ارهاصات وعوامل أساسية مهدت وساعدت بشكل كبير فى قيام الدويلات المستقلة.

وفى نهاية هذه الفقرة نقول إن تأسيس هذه الدولة الزيدية هى محاولة تدخل ضمن المحاولات المستمرة المتجددة للوصول الى الهدف، وهو استيلاء الزيديين على خلافة العالم الإسلامى، وإقامة هذه الإمارة وغيرها نشأت كثمرة لجهود الزيدية المتواصلة، ولكن الإمارات الزيدية التى نشأت سواء كانت فى طبرستان أو اليمن أو أفريقيا لم تستطع بسبب تباعدها أن تؤلف وحدة أو حتى مايشبه الوحدة، لذا لم تعمر هذه الإمارات طويلاً .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٨/٥٠٨ تحقيق /محى الدين عبد الحميد ط. القاهرة ١٩٤٨م.

صفاته الشخصية ووفاته :

وفى سنة ٢٧٠ هـ توفى الحسن بن زيد صاحب طبرستان فى رجب وكان ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وولى مكانه أخاه محمد بن زيد، وكان الحسن بن زيد كريماً جواداً يعرف الفقه والعربية، وحكى أنه غنى عنده مغن بأبيات الفضل بن العباس بن عتبه بن أبى لهب التى أولها :

وأنا الأخضر من يعرفنى أخضر الجلده من بيت العرب

فلما وصل إلى قوله : برسول الله وابنى عمه وبعباس بن عبد المطلب.. غير البيت فقال : لابعباس بن عبد المطلب، فغضب الحسن بن زيد، وقال : يابن اللخناء تهجو بنى عمنا بين يدى وتحرف ما مدحوا به لئن فعلتها مرة ثانية لأجعلنها آخر غنائك[١] .

ويذكر ابن كثير: أنه قال له شاعر من الشعراء فى جملة قصيدة مدحه بها :

(الله فرد وابن زيد فرد) فقال له اسكت سد الله فاك ألا قلت (الله فرد وابن زيد عبد) ثم نزل عن سريره، وخر لله ساجداً وألصق خده بالتراب ولم يعط ذلك الشاعر شيئاً وامتدحه بعضهم فقال فى أول قصيدة :

لاتقل بشرى ولكن بشريان غره الداعى ويوم المهرجان

فقال له الحسن: لو ابتدأت بالمصراع الثانى كان أحسن، وأبعد لك أن تبدأ شعرك بحرف (لا) فقال له الشاعر : ليس فى الدنيا أجل من قول لا إله إلا الله، فقال له أصبت وأمر له بجائزة سنية[٢] .

يعد الحسن بن زيد المؤسس الحقيقى للدولة الزيدية فى طبرستان سنة ٢٥٠

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج٦/٥٥.

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية ج١١/ ٥٠-٥١.

هـ والتى كان يعدها منطقة وثوب لتوسيع رقعة امارته التى شملت جرجان وبلاد الديلم، وقد بذل خلال مدة حكمه ما يبذله عادة مؤسسو الدولة من جهد فى توطيد وبناء صرح دولته - والذود عنها ضد الأعداء ومحاولة توسيع رقعتها وتقوية شأنها (وكان الإمام الحسن عالماً بالفقه)[١] .

ولو أن المصادر التاريخية لاتمدنا بالمعلومات التاريخية عن انجازاته السياسية والحضارية، ولكننا نعتقد أنه اهتم بشكل خاص بنشر المذهب الزيدى والالتزام الشريعة الإسلامية، كما كان محباً للجهاد (بمفهوم الزيدية) دلت على ذلك صموده أمام أعداء امارته. وبجانب هذه المواهب كان كما ذكرت المصادر آنفاً عالماً بالعربية يهوى الشعر والأدب، لذا نحتمل نمو العلوم والآداب فى عهده، فقد وفد عليه الشعراء ولقوا كل التشجيع من الأمير الزيدى .

ولكننا نلتمس من ثنايا بعض النصوص معارضة بعض أفراد من شعب طبرستان لهذه السياسة، فقد ذكر الطبرى: أنه بعد أن استولى (مفلح)[*] علي طبرستان وهزم الحسن بن زيد وأخرجه عنها إلى أرض الديلم ، ثم انصرف عنها بناء علي أمر من أميره . ولما انصرف راجعا إلى حيث توجه منه ، فعظم ذلك علي قوم كانوا معه من رؤساء أهل طبرستان ممن كان هاربا قبل مقدم (مفلح) عليهم من الحسن بن زيد لما كانوا قد رجوا من مقدمه عليهم وكفايتهم أمر الحسن بن زيد والرجوع إلى منازلهم وأوطانهم، فلما رأى القوم انصرافه عن الوجه اذى توجه له من غير عسكر للحسن بن زيد ولا أحد من لاديلم صده، سألوه عن السبب الذى صرفه عما كان يعدهم به من اتباع ابن زيد وجعلوا يكلمونه - وهو كالمسبوت (كالميت) لايجيبهم بشيء، لما أكثروا عليه قال لهم : ورد على كتاب الأمير موسى بعزمه منه ألا أضع كتابه من يدى بعد ما يصل إلى حتى أقبل اليد، وأنا مغموم بأمركم ولكن لاسبيل إلى مخالفة الأمير[٢] .

(١) الطبرى - تاريخه ج١٠/٨١. الرابعة - دار المعارف حوادث ٢٨٧هـ.

(٢) الطبرى : تاريخه ج٩/٤٠٦-٤٠٧ - دار المعارف ط. الرابعة .

(*) أحد ولاة الدولة العباسية فى خراسان ص ٥٣ من البحث.

إمارة محمد بن زيد العلوى (٢٧٠-٢٨٧هـ).

بدأت امارته سنة ٢٧٠هـ بعد وفاة أخيه الحسن، وكانت فترة إمارته حروباً مستمرة مع جيرانه ، فيذكر ابن الأثير[١] أنه فى سنة ٢٧٢هـ كانت حرب شديدة بين اذكوتكين[*] ومحمد بن زيد العلوى صاحب طبرستان، فانهزم عسكر محمد بن زيد وتفرقوا فقتل منهم ستة آلاف وأسر ألفان، وغنم اذكوتكين وعسكره من أثقالهم وأموالهم ودوابهم شيئاً لم يروا مثله ودخل اذكوتكين الرى فأقام بها وأخذ من أهلها ألف ألف دينار وفرق عماله من أعمال الرى.

ولم يذكر لنا ابن الأثير سبب هذه الحرب، وبما نرجعها إلى عوامل مادية كطلب الغنائم أو خلافات على الحدود بين هذه الإمارات التى كانت منتشرة فى إقليم خراسان، ولكن يلاحظ أن نائب قزوين لم يدخل طبرستان ويستولى عليها، وربما لوعورة أرضها ولكنه اكتفى بأن انتزع اقليم الرى، وولى حكمها وبذلك فقدت الدولة الزيدية إقليم الرى.

كذلك تعرضت الدولة الزيدية لمؤامرات أخرى أضعف من شأنها، فيذكر ابن الأثير أنه فى سنة ٢٧٥هـ[٢] سار رافع بن هرثمة[**] إلى جرجان فأزال عنها محمد بن زيد، وسار محمد إلى استراباذ[***] فحصره فيها رافع وأقام عليه نحو سنتين، فغلت الأسعار وفارقها محمد فى نفر قليل إلى ساريه، فسير إليه رافعاً عسكراً فتحاربا وسار محمد عن سارية وعن طبرستان، وذلك فى ربيع الأول سنة ٢٧٦هـ، فقدم على رافع وهو بطبرستان - على بن الليث - وقد استطاع محمد

(١) ابن الأثير: الكامل ج٥٩/٦ - دار الفكر بيروت ١٩٧٨/١٣٩٨م.

(٢) ابن الأثير : الكامل ج٣٥٦/٦ - دار الكتب العلمية بيروت - حوادث سنة ٢٧٥هـ.

(*) اذكوتكين - نائب قزوين - ابن كثير - البداية والنهاية ج٥٣/١١.

(**) والى خراسان من قبل محمد بن طاهر - أمير الدولة الطاهرية .

(***) إحدى مدن جرجان .

بن زيد أن يحصرهما فى شالوس ولكنه رحل عنها الى أرض الديلم، فدخل رافع خلفه أرض الديلم، وفر منها محمد بن زيد، وبذلك فقدت الدولة الزيدية مرة أخرى بعض ممتلكاتها، وضعف أمرها .

وفى غضون ذلك ارتفع شأن الدولة السامانية(*) ، وأضعفوا من أمر الصفاريين واعترف الخليفة العباسى المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ) بالأمير نصر حاكماً على بلاد ما وراء النهر، وفوض إليه حكم البلاد الممتدة من شواطىء جيحون حتى أقصى بلاد الشرق(١) .

وتلعب الأحداث فى هذه المنطقة المضطربة دوراً هاماً فى عودة محمد بن زيد العلوى لإمارة طبرستان مرة أخرى، وينفرد ابن الأثير بهذه لأحداث دون الطبرى فيذكر أنه فى سنة ٢٧٩هـ(٢) لما ولى المعتضد الخلافة (٢٧٩-٢٨٩هـ) عزل رافع بن هرثمة الذى كان محمد بن طاهر قد أنابه عنه فى ولايتها، وأعادها الى عمرو بن الليث ولكن رافعاً لم يذعن للأمر، واقتتل معهم عمرو بن الليث مقتلة عظيمة فجمع رافع أصحابه واستشارهم فيما يفعل وقال لهم: إن الأعداء قد أحدقوا بنا ولا آمن من أن يتفقوا علينا، وهذا محمد بن زيد ينتهز فرصة لينتهزها، وقد رأيت أن أصالح محمد بن زيد، وأعيد إليه طبرستان، وسار إلى طبرستان وراسل محمد بن زيد وصالحه ووعده محمد بن زيد بنجدته بأربعة آلاف رجل من شجعان الديلم، وخطب لمحمد بن زيد بطبرستان وجرجان فى ربيع الآخر سنة ٢٨٢هـ فبلغ خبر مصالحة محمد بن زيد ورافع، فأرسل عمرو بن الليث إلى محد يذكر ما فعل به ويحذره منه وغدره إن استقام أمره فعاد عن انجاده بعسكر، فلما قوى عمرو بن الليث عرف لمحمد بن زيد ذلك وخلى عليه

(١) ابن الأثير - الكامل ج٦/٤٠٢ دار الكتب العلمية بيروت حوادث ٢٨٧هـ.

(٢) ابن الأثير- الكامل ج٦/٣٧٢، حوادث سنة ٢٧٩هـ.

(*) وهى الدولة التى قامت على انقاض الدولة الصفارية فى بلاد خراسان وما وراء النهر .

طبرستان، وظل عمرو بن الليث الصفار ورافع بن هرثمة يتحاربان إلى أن انهزم رافع وقتل بطوس سنة ٢٨٤هـ.

وفى سنة ٢٨٧هـ قتل محمد بن زيد صاحب طبرستان والديلم، وكان سبب قتله أنه لما اتصل به عمرو بن الليث الصفار خرج من طبرستان ظناً منه أن اسماعيل السامانى لايتجاوز عمله ولايقصد خراسان وأنه لادافع له عنها، فلما سار إلى جرجان أرسل إليه اسماعيل وقد استولى على خراسان يقول: الزم عملك ولا تتجاوز عمله ولاتقصد خراسان وترك جرجان له فأبى محمد - فندب إليه واليه محمد بن هارون فالتقوا على باب جرجان فاقتتلوا اقتتالاً شديداً، وأصابت ابن زيد ضربات وأسر ابنه زيد وغنم محمد بن هارون معسكره وما فيه، ومات محمد بن زيد بعد أيام من جراحاته التى أصابته فدفن على باب جرجان وسار محمد بن هارون إلى طبرستان(١) .

ومن خلال هذا النص ندرك أن محمد بن زيد كان يتطلع لضم خراسان ليكون دولة زيدية كبيرة تنافس الدولة العباسية المتداعية أو تقضى عليها نهائياً، إلا أنه لم يكن يدرك تماماً أن الدولة السامانية الناشئة قد أخذت تزداد قوة ونفوذاً فى القسم الشرقى من الدولة العباسية بعد أن انتصر اسماعيل السامانى على عمرو بن الليث الصفار وضعف أمر الدولة الصفارية، فكان الأمير السامانى يتطلع الى تكوين دولة سامانية عظيمة بعد أن فوضه الخليفة المعتضد (٢٧٩هـ-٢٨٩هـ) حكم بلاد خراسان وما جاورها .

وكان محمد بن زيد فاضلاً أديباً شاعراً عارفاً حسن السيرة، قال أبو عمر الاستراباذى: كنت أورد على محمد بن زيد أخبار العباسيين فقلت له : إنهم قد لقبوا أنفسهم فإذا ذكرتهم عندك أسميهم أو القبهم فقال: الأمر موسع عليك سمهم

---

(١) ابن الأثير - الكامل ج٦/٤٠٣ حوادث سنة ٢٨٧هـ.

أو لقبهم بأحسن ألقابهم وأسمائهم وأحبها إليهم.

وقيل حضر عنده خصمان أحدهما اسمه معاوية والآخر اسمه على فقال: الحكم بينكما ظاهر فقال معاوية: إن تحت هذين الاسمين خبراً قال محمد : وما هو ؟ قال إن أبى كان من صادقى الشيعة فسمانى معاوية ليكفنى شر النواصب وأن أبا هذا كان ناصبياً فسماه علياً خوفة من العلوية والشيعة فتبسم إليه محمد بن زيد وأحسن إليه وقربه، وقيل : استأذن عليه جماعة من أضراء الشيعة وقرائهم فقال: ادخلوا فإنه لايجيبنا إلا كل كسير أعور[١] .

إمارة الحسن بن على الملقب بالأطروش (٣١١هـ-٣١٦هـ) :

انتهت الدولة الزيدية فى طبرستان وجرجان والديلم بمقتل محمد بن زيد، ولكن ظلت الدعوة الزيدية منتشرة بين أهل هذه لبلاد، وآمن بها كثيرون، وكان الحسن بن على الأطروش قد دخل الديلم بعد قتل محمد بن زيد وأقام بينهم نحو ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام ويؤدون منهم العشر ويدافع عنهم فأسلم منهم خلق كثير اجتمعوا عليه وبنى فى بلادهم مساجد، وكان والى طبرستان من قبل الدولة السامانية يسمى الصعلوك فأساء السيرة وقطع عن رؤساء الديلم ما كان يهديه إليه الوالى السابق ابن نوح، فانتهز الحسن الفرصة وهيج الديلم عليه ودعاهم إلى الخروج معه فأجابوه وخرجوا معه، فانهزم ابن صعلوك وقتل من أصحابه نحو أربعة آلاف رجل وحصر الأطروش الباقين ثم أمنهم على أموالهم وأنفسهم وأهليهم فخرجوا إليه فأمنهم، واستولى الأطروش على طبرستان، وأعطى لأهلها أماناً على أنفسهم وأموالهم وأهليهم سنة ٣١١هـ، وبذلك اتسعت الدولة الزيدية فى عهد الاطروش، فشملت مرة أخرى طبرستان وجرجان والديلم[٢] .

---

(١) السابق - ج٦/٤٠٤ .

(٢) ابن الأثير - الكامل ج٦/٤٨١-٤٨٢ .

والأطروش يلقب الناصر الكبير، ولم يكن مؤسس دولة فقط، بل صاحب دعوة بذل فى نشرها جهوداً مضنية، فقد نشر الإسلام كما ذكرنا فى بلاد الديلم، وحرص على نشر المذهب الزيدى بين أهالى دولته لذلك يعتبر الناصر الأطروش محى المذهب الزيدى من الركود بعد توالى الاضطهاد واستشهاد الكثير من آل بيت رسول الله ﷺ . وفى ذلك يقول الشهرستانى: لم ينتظم أمر الزيدية، حتى ظهر بخراسان الناصر الأطروش، فطلب مكانه ليقتل، فاختفى، واعتزل إلى بلاد الديلم والجبل، وهم لم يتحلوا بدين الإسلام، فدعا الناس إلى الإسلام على مذهب زيد بن على فدانوا ذلك ونشأوا عليه وبقيت الزيدية فى تلك البلاد، وكان يخرج واحداً بعد واحد من الأئمة ويلى أمرهم[١] .

وكان الناصر رجل سياسة وعلم فقيهاً، وكان ذا فهم ومعرفة. إماماً فى الفقه والدين حسن النادرة[٢] وفقهه يعتمد على الآراء والنصوص وكان له فرقة مستقلة تدعى بالناصرية. ويرجع إليه الفضل فى إحياء المذهب الزيدى فى طبرستان وجرجان .

وفى سنة ٣١٤هـ توفى الناصر العلوى، وكان عمره تسع وسبعون سنة، وظلت الإمامة فى أولاده وأصهاره حتى سنة ٣١٦هـ حيث انقسم الديلم إلى عصبتين:

عصبية الجبل الممثلة فى «أسفارين شردية» الديلى، وعصبية الديلم الممثلة فى ما كان بن كالى، وكل طائفة من الناس تجتمع حسب عصبتها، وحول رئيسها الذى تتبعه، ويذكر ابن الأثير أنهم التقوا عند سارية واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم الحسن بن القاسم، وكان انهزام معظم أصحاب الحسن على تعمد منهم للهزيمة،

---

(١) الشهرستانى - الملل والنحل ص٣١١.

(٢) ابن الأثير - الكامل ج٦/٤٨٢.

وسبب ذلك أنه كان يأمر أصحابه بالاستقامة، ومنهم من ظلم الرعية وشرب الخمر وكانوا يبغضونه لذلك،ثم اتفقوا على أن يستقدموا هروستدان وهو أحد رؤساء الجبل ليقدموه عليهم ويقبضوا على الحسن الداعى وينصبوا أبا الحسين بن الأطروش ويخطبوا له، ولما قتل استولى استارين على بلاد طبرستان والرى وجرجان وقزوين، وزنجان وأبهروقم والكرخ وقد عمل أسفار على التخلص من العلويين فى طبرستان[1] وأقام دولة علوية هناك لا إمام لها ، بل اعترف بسيادة الخليفة العباسى السنى على بلاده، ولكن ظل المذهب الزيدى سائداً بين أهلها[2].

وانتهت الدولة الزيدية بمقتل الأئمة الزيديين فى طبرستان سنة ٣١٦هـ.



(١) ابن الأثير - الكامل ج٧/ ٤٧١.

(٢) أبو زهرة - الإمام زيد ص٤٩٩.

المبحث الرابع

التنظيمات السياسية والإدارية والعسكرية

فى الإمارة الزيدية

لعل من أعسر الأمور أن نفرد مبحثاً عن هذه التنظيمات ، إذ تخلو المصادر التاريخية من ذكر لهذه التنظيمات، إذ يؤخذ عليها عموماً - خلال هذه الفترة - موضوع البحث - الاهتمام بالأحداث السياسية والمعارك العسكرية التى لها علاقة بالسلطة المركزية العباسية، الأمر الذى أدى إلى خلوها من القضايا السياسية والعسكرية الأخرى، مع لجوء معظمها إلى الايجاز الشديد فى سرد الحوادث التاريخية، لذا نقول إن هذه الفترة لم تنل أى قسط من العناية، ولكنه بفضل الله - أمكن تجميع بعض المعلومات من ثنايا هذه المصادر ، وبالقياس التاريخى - إن صح فى المجال التاريخى - إذ أن القياس هو أحد مصادر الشريعة الإسلامية .

أ - التنظيمات السياسية والإدارية :

الراجح عندنا أن الإمارة الزيدية - باعتبارها إمارة مستقلة عن الدولة العباسية - كان لها نظامها السياسى والإدارى على غرار كل الدول المستقلة الأخرى لذا نقول إن الأمير كان يعد رأس الدولة، ويبدو أنه كان له أعوان يعاونوه فى الحكم والإدارة كالوزير وأن هذا المنصب يشغله فى معظم الأحيان شخص زيدى يفوض له الأمير معاونته فى تدبير كافة الأمور فى البلاد مستيعناً بطائفة من كبار القوم فى مجالات الحكم والإدارة، نظراً لأن الإمارة كانت فى حروب مستمرة مع جيرانها أو مع الدولة العباسية، الأمر الذى جعل الأمير يتفرغ لتحمل مهام القيادة العسكرية .

وكذلك كانت وظيفة الكاتب من الوظائف الرئيسية فى هذه الإمارة، إذ كان

الكاتب يساعد الوزير فى عمله ويحرر الرسائل التى يبعث بها الأمير الى غيره من أمراء الإمارات الأخرى، وأغلب الظن أنهم كانوا من الكتاب السياسيين .

أما عن ولاة الأقاليم، فنرجح أنه كان هناك ولاة للأقاليم، وخاصة بعد أن اتسعت الإمارة لتشمل جرجان وبلاد الديلم، وإن هذه الإمارة قد قسمت إلى كور كبيرة على رأس كل كورة حاكم تعينه السلطة المركزية فى آمل العاصمة، ومن المحتمل أن حكام الأقاليم كانوا يختارون من كبار قواد الأمير وأعوانه الزيديين، وكان لهم كافة الاختصاصات المعروفة كإمامة الصلاة فى المساجد الجامعة بحواضر كوراتهم، وإقرار النظام، وجمع الضرائب المقررة، والراجح أيضاً أنهم كانوا يحجزون من الضرائب - الأموال اللازمة لإدارة هذه الكورات وارسال ما يفيض الى بيت المال العام فى آمل العاصمة، ولسنا نعرف شيئاً عن رواتب رؤساء الكورات، ولم تذكر لنا المصادر بعضاً من أسمائهم .

أما عن صاحب الشرطة، فإنه كان لابد من وجود هذا المنصب فى هذه الإمارة، يعهد إليه بحفظ النظام ورعاية الأمن، ويقيم الحدود الثابتة، والتأديب لمن لم ينته عن الجريمة، وله سلطان مستمد من الأمير .

ومن المحتمل أن صاحب الشرطة فى الحاضرة كان له أعوان فى سائر أنحاء البلاد ولكن الراجح عندنا أن ولاة الأقاليم كان لكل منهم شرطة يتخذها لإقرار الأمن والمحافظة على النظام فى منطقة حكمه .

والمعروف مما ذكرته الكثير من المصادر أن صاحب الشرطة كانت له صفة سياسية فكان بمثابة نائب الوالى فى حكم البلاد ، يحمل محله إذا مرض أو تغيب ويحكم الولاية إذا توفى الوالى إلى أن يصل الوالى الجديد .

وظائف أخرى:

وذلك لصبغ الإمارة الزيدية بالمذهب الزيدى نرجح أن الوظائف التى تتعلق بالمساجد وإقامة الشعائر الدينية ودروس العلم فى المساجد، فالمساجد العظيمة المعدة للصلوات المشهورة فى المدن الكبيرة كان أمر تنصيب إمام لها من الأمير الزيدى وإن الإمام الزيدى لامحالة كان يستأثر بصلاة العيدين والجمعة فى المسجد الجامع فى آمل العاصمة، أما باقى المساجد الأخرى فكان لكل مسجد إمام معين، ولسنا ندرى هل كان يعينه الأمير الزيدى، أو قاضى الكورة، وطبيعى أنه كان زيدى المذهب لنشر المذهب الزيدى بين الناس، ونرجح أن أجور أئمة المساجد والمؤذنين والخدم كانت تدفع إما من بيت المال أو من إيرادات بيوت وحوانيت يوقفها أهل الخير لهذا الغرض .

عامل الخراج:

ولما كانت الزراعة هى المصدر الأساسى لثروة الإمارة الزيدية[١] ، لذا نرجح أن أساس الخراج كان هو المستحق على الأراضى التى يفلحها المزارعون .

أما عن قيمتها ، فمع أن المصادر لم تشر إليها ، فإننا نرجح أنها لم تكن بنفس الأنظمة المعمول بها فى الدولة العباسية (المقاسمة) إنما كانت لاتتعادل سنى المحصول الضعيف بسنى المحصول الطيب لتأكيد العدالة فى جبايتها .

ويبدو أيضاً أن الخراج كان يؤخذ على الصناعات التى عرفتها الإمارة الزيدية[٢] . كان لابد من وجود عامل خراج لأن وجوده مظهر من مظاهر استقلال الإمارة، والراجح أن عامل الخراج فى الإمارة كان رئيس الهيئة التى تشرف على جمع الخراج وعلى تدبير نفقات الإدارة فى البلاد أى أنه بمثابة وزير مالية للأمير .

---

(١) ص ١٠ من البحث .

(٢) ص ١٠ من البحث.

ومما يؤسف كسابقة كل الوظائف لم تحفظ لنا المراجع التاريخية شيئاً عن عمال الخراج ولا عن أساليبهم فى جباية الضرائب وتنظيم المصروفات، ولكننا نعتقد أنه كان يجبى طبقاً للشريعة الإسلامية .

ولتأكيد استقلال الإمارة عن الدولة العباسية كان لابد من وجود دار لضرب النقود فى عاصمة الإمارة «آمِل» لأن السكة كانت تعتبر فى العالم الإسلامى من شارات الملك[(١)] .

ويبدو أن السكة التى ضربت للزيدين كان ينقش عليها اسم الأمير وبعض عبارات التوحيد أو الآيات القرآنية وذلك على غرار ما كان معمولاً به فى كافة الدول المستقلة، ويبدو أن السكة التى ضربت كانت الدنانير والدراهم .

وصفوة القول أن الإدارة السياسة والإدارية فى الإمارة الزيدية لم تكن فى حاجة إلى إدارة حكومية معقدة، ولكن كان يكفى هذه الإمارة استقلال مواردها والعمل على استقرار الأمن فيها، ونشر المذهب الزيدى بها، والدفاع عن استقلالها.

ب- القضاء والمظالم والحسبة :

كان القضاء فى نظام الدولة الإسلامية عامة من الأمور الخاصة بالخلافة أو الإمارة[(٢)] فكان لابد إذن أن يعين القاضى من قبل أمير الإمارة والراجح عندنا أنه كان فقيهاً[(*)] بالمذهب الزيدى، وأن أمراء الزيديين قد جلسوا للمظالم توكيداً لنشر العدل بين الناس.

أما الاختصاص النوعى للقضاء فكما هو معروف منذ فجر الإسلام كان

(١) ابن خلدون : المقدمة - الفصل السادس والثلاثون - فى شارات الملك والسلطان .

(٢) ابن خلدون : المقدمة - الفصل الحادى والثلاثون (الخطط الدينية للخلافة).

(*) ونرجح أنه كان لابد أن تتوافر فيه الشروط التى حددها الماوردى فى الأحكام السلطانية.

يفصل فى الأحكام الخاصة بالمنازعات المختلفة والمسائل الشرعية والأحباس ونفقة الأيتام، كما كان يخرج لرؤية هلال رمضان، ونرجح وجود قاض فى كل مدينة من مدن الإمارة الزيدية.

ويبدو أنه كان للقاضى كاتب يعاونه فى كتابة الأحكام وحجاب يستأذنون الناس وللشهود فى الدخول الى القاضى .

ولسنا نعرف على وجه التحقيق ملابس القضاه، ولكننا نرجح أنها ولابد كانت تختلف عن ملابس قضاة الدولة العباسية الذين (كانوا يلبسون طيلساناً أسود وعمامة سوداً فوق القلنسوة)[١] .

أما عن المحتسب، فقد فصل الماوردى فى كتابه الأحكام السلطانية الفصل العشرون كل ما يتعلق بهذه الوظيفة من شرط شغلها وطبيعة عمل المحتسب، فقد كان المفروض دائماً أن يكون المحتسب رجلاً عفيفاً خبيراً وربما عالماً نبيلاً عارفاً بالأمور محنكاً فطناً لايميل ولايرتشى فتسقط هيبته ويستخف به .

ولا ريب أن الأمير الزيدى كان صاحب الرأى فى اختيار المحتسب وفى عزله، ونعتقد أنه كان أيضاً كالقاضى زيدى المذهب يدين بالولاء للإمارة .

جـ- الجيش فى الدولة الزيدية :

كانا لجيش هو عدة محمد بن زيد - مؤسس الدولة الزيدية فى صد غزوات أعدائه من الإمارة الطاهرية والدولة العباسية .

ونرجح أن الجيش كان يتألف من سكان هذه الإمارة ، وسكان هذه المناطق الجبلية كانوا بطبيعتهم يميلون للقتال.

---

(١) الكندى - الولاة والقضاه - ص ٣٧٨ .

ولسنا نعرف من القصص التاريخية ما يعيننا على البحث فى نظام الجيش الزيدى وعدده ورواتب القواد والجنود وعتادهم وما إلى ذلك مما يعنى به المؤرخون المحدثون، ولكن من خلال بعض المعارك التى خاضها الجيش الزيدى ففى عام ٢٧٢هـ - خاض الجيش الزيدى الحرب ضد صاحب قزوين ودار الدائرة على الجيش الزيدى وقتل منهم ستة آلاف وأسر ألفان[١] .

يتبين أن جيش الإمارة كان يتعدى العشرة آلاف مقاتل، ونرجح أن الأمراء الزيديين كانوا يعتمدون على المال فى القبض على زمام الجيش وعلى العطايا بعد معارك الانتصارات التى يخوضها لكن ذلك لايمنع من وجود المتطوعة فى صفوف الجيش.

ونعتقد أنه من الأسباب التى أدت الى انهيار هذه الإمارة انقسام هذا الجيش الى عصبتين تبعاً لانقسام أولاد الناصر العلوى بعد وفاته سنة ٣١٤هـ.

أما عن البحرية، فالنصوص التاريخية لم تمدنا بأية معلومات عن البحرية الزيدية، مع أننا نعلم أن حرفة صيد الأسماك التى تشتهر بها هذه الإمارة قائمة على صناعة السفن، لأنها تطل على بحر قزوين، فتفتقر المصادر الى الحديث عن البحرية، ونشاطها وأنواع السفن التى كانوا يستخدمونها .

والظاهر أن معظم هذه السفن كان من سفن الصيد ولم يكن لدى الإمارة مراكب حربية إذ أن كافة المعارك التى خاضتها يغلب عليها الطابع البرى .



(١) ابن الأثير - الكامل ج٦/٥٩ .

النتائج

وبعد استعراضنا للدولة الزيدية فى طبرستان والديلم من حيث جغرافيتها والمذهب الزيدى ونشأته نسجل النتائج التالية :

١- كان لبعد طبرستان عن حاضرة الخلافة العباسية، وميل أهلا للتشيع أثراً فى اتجاه بعض الثائرين من العلويين الى تلك البلاد، فقدموا إليها، ولقيت دعوتهم استجابة من أهلها، كماأدى تعسف ولاة الطاهريين وسوء الإدارة إلى نقمة أهل هذه البلاد، مما حمل كثير منهم إلى الانضمام الى الحركات المناوئة للطاهريين التى وجدوا فيها ضالتهم المنشودة للتخلص من عسف هؤلاء الولاة .

٢- لم يكن قيام الدولة الزيدية فى طبرستان والديلم وليد الصدفة، بل كان عملاً له أسبابه الدينية والتاريخية .

فالزيديون أقاموا دولتهم نتيجة حتمية للظروف التى مرت بها الخـلافة العباسية بالإضافة إلى ظروف تلك المنطقة التى كانت تموج بالتيارات السياسية والمذهبية المختلفة، وكذلك نتيجة التقاء النزعة القومية الاستقلالية عند سكان هذه المناطق بروح التمرد والقسوة عند زعماء الشيعة الزيديين ورغبتهم فى إقامة دولة علوية تتحدى سلطان الخلافة العباسية أو تسعى لإزالتها .

٣- كانت المؤثرات الحضارية تنتقل طيلة هذا العهد من بلاد فارس إلى هذه المناطق على يد العلماء والأدباء الذين كانوا يفدون إليها باعتبارها مجمع طرق خراسان إلى بلاد ما وراء النهر .

كما كان العامل الاقتصادى من أقوى العوامل فى ظهور الدول الاقليمية فى

المشرق ومنها الدولة الزيدية، لأن الأزمة المالية التى أصابت ميزانية الدولة العباسية جعلتها عاجزة أمام ذوى المطامع السياسية والدينية .

٤- نرى أن الرعيل الأول من علماء الزيدية الذين وفدوا الى هذه المناطق قد وضعوا اللبنة الأولى لنشر هذاالمذهب بين سكان أهلها، فقد ازدادت الحركة الزيدية رسوخاً فى القرن الثالث فى عهد الأمير الأطروش وتركت أثراً فى هذه البلاد والتى ظلت زيدية المذهب ولكن لا إمام لها ، ولكننا نعتقد أن الكثير من السكان لم يعتنقوا هذا المذهب لانصراف الإدارة الزيدية للدفاع عن الإمارة ومحاربة جيرانها الأعداء ولقصر عمرها .

٥- كان الزيديون شيعة معتدلين، فكان من الطبيعى أن يقفوا موقفاً عدائياً من الحركات المذهبية الأخرى التى تضر بكيانهم ومصالحهم ، كذلك وقفت الحركات المذهبية الأخرى منها نفس الموقف. فعندما هاجم محمد بن زيد جرجان وأراد الاستيلاء عليها أرسل اسماعيل بن أحمد السامانى - أحد قواده - فطرد العلويين من طبرستان وجعلها تحت السلطة الشرعية لحكام الدولة السامانية،ولكننا لانظن أن المذهب الزيدي قد اصطدم بمذاهب أخرى كالسنة أو الاسماعيلية كماحدث فى اليمن عند قيام الدولة الزيدية (٢٨٠-٢٨٩هـ) .

٦- وكان ولاء السامانيين للخلافة العباسية مشجعاً لهم للهجوم على الدولة الزيدية وازالتها لأن الخليفة العباسى كان يوليهم حكم مناطق الاضطراب أو البعيدة عن سيطرة العباسيين ولأنها ستصبح ضمن أملاكهم بعد الاستيلاء عليها .

ونرى أن الذى عجل بنهاية الدولة الزيدية فى طبرستان أنها لم تدن بالولاء للخلافة العباسية كما فعلت الدولة الزيدية فى اليمن (٢٨٠-٢٨٩هـ) .

٧- كان منتصف القرن الثالث الهجرى يمثل نهاية حقبة، وبدأ عهد جديد فى حياة الدولة العباسية، فقد أخذت الدول الاقليمية فى الظهور فى منتصف هذا القرن، فقامت الدولة الطاهرية فى المشرق والزنج فى الجنوب ، والصفارية فى خراسان، والزيدية فى طبرستان مما آذن بانتهاء عصر وبدء عصر جديد له خصائصه ومميزاته الخاصة .

٨- انفتاح المذهب الزيدى على غيره من المذاهب الإسلامية، وتأثره بالمعتزلة منح الفكر الزيدى النزعة العقلية، وعدم التعصب، ورفض التقليد، وأسهم هذا الفكر فى حمل تراث المعتزلة، وأصبح الاجتهاد سمة مميزة من سماته مما كفل له البقاء .



كشاف المصادر والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم

ابن الأثير ، عز الدين أبوا لحسن على بن أبى الكرخ الشيبانى

١- الكامل فى التاريخ - دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م وطبعة أخرى .

ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى

٢- المسالك والممالك ط. القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

ابن كثير أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشى

٣- البداية والنهاية - دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

أبو الحسن على بن الحسين المسعودي

٤- مروج الذهب ط. دار المعرفة بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى

٥- الأحكام السلطانية ط ١٣٢٩هـ/١٩٠٩م.

أبو العباس شمس الدين أحمد بن محدم بن خلكان

٦- وفيات الأعيان ، ط. محى الدين ١٩٤٨م.

أبو الفتوح محمد عبد الكريم الشهرستانى

٧- الملل والنحل ط. دار المعرفة بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

أبو الفرج عبد الحى بن العماد الحنبلى

٨- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب. المكتب الفنى للطباعة والنشر بيروت. بدون تاريخ

أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن خرداذبه

٩- المسالك والممالك ط. ليدن ١٢٨٥هـ/١٨٨٩م.

أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى

١٠- صورة الأرض. ط. مكتبة الحياة بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى

١١- تاريخ الطبرى، ط. الرابعة، دار المعارف بمصر .

أبو عمر محمد يوسف الكندى

١٢- الولاة والكتاب والقضاة، ط. القاهرة ١٣٢٨هـ/١٩٠٨م

أبو محمد على بن سعيد بن حزم الأندلسى

١٣- جمهرة أنساب العرب، دار المعارف بمصر، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

ابى الفرج الأصبهانى

١٤- مقاتل الطالبين، ط ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

أحمد بن يحي بن جابر البغدادى الشهير بالبلاذرى

١٥- فتوح البلدان، ط. الأولى القاهرة ١٣١٩هـ/١٩٠١م.

أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبى

١٦- تاريخ اليعقوبى،

جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى

١٧- تاريخ الخلفاء، ت/محى الدين ط. القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣١م.

عبد الرحمن بن خلدون

١٨- مقدمته، ط. الأولى مصر ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

محمد بن على بن طباطبا

١٩- الفخرى فى الآداب السلطانية، ط. المعارف - الطبعة الثانية ١٣٤٣هـ/١٩٢٣م.

تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية

٢٠- منهاج السنة النبوية، ط. أولى المطبعة الكبرى الأميرية بالقاهرة ١٣٢١هـ/ ١٩٣٠م.

ب- المراجع:

أحمد أمين

١- ظهر الإسلام، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م

أحمد محمود صبحى

٢- الزيدية، ط. منشأة المعارف بالاسكندرية ١٣٦٨هـ/ ١٩٨٠م.

جمال الدين سرور

٣- تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، دار الفكر العربى ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م

حسن إبراهيم حسن

٤- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، الطبعة السابعة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م

د. على النشار

٥- نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، ط. الثانية دار المعارف بمصر

الشيخ / محمد أبو زهرة

٦- الإمام زيد، ط. الأولى - دار الفكر العربى ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.

٧- الإمام الصادق، ط. القاهرة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

محمد الخضرى

٨- محاضرات فى تاريخ الدولة العباسية، المكتب التجارى بالقاهرة بدون تاريخ.

مصطفى حلمى

٩- نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى، دار الانصار بمصر بدون تاريخ .



ملحق رقم (١) شخصيات

زيد بن على: زين العابدين

(انظر هذه المادة)، وإليه ينسب الزيدية وهم الذين يقدسونه شهيداً سياسياً ودينياً، وحلت النكبة بجده الحسين بن على (انظر هذه المادة) فى كربلاء، فكان زيد بن على أول علوى سعى الى حرمان بنى أمية من الخلافة بالفتنة المسلحة، فوضع نفسه تحت أمرة الكوفيين متخذاً صفة الإمام، وقد قضى سنة يتجهز فى الكوفة، فيما عدا فترة لاتتجاوز الشهرين كان يبحث فيها عن أتباع فى البصرة، وكان يختفى خلال اقامته فى الكوفة فى مخابىء دأب على تغييرها، ولكنه ما أن أصبح مستعدا لبدء القتال حتى كان الوالى يوسف بن عمر الثقفى، وكان وقتئذ غائباً بالحيرة، قد أثبت أنه أتخذ للأمر أهبته. فلم ينضم إلى زيد إلا بضع مئات من الرجال بالرغم من أن آلافاً منه كانوا قد بايعوه بالإمام، واستمر القتال فى الطرقات بضعة أيام أصيب بعدها زيد فى مقتل، وأخفيت جثته فى مخبأ تحت الماء إلا أن بعضهم أفشى سر هذا المخبأ، فعرض جثمان زيد فى الكوفة، ورأسه فى دمشق ومكة والمدينة، وقد نقل الطبرى عن أبى مخنف وصفا حياً مسهباً لتفصيلات القتال رواية عن بعض من عمروا بعده، بيد أن تاريخ القتال نفسه الذى وقع فى مستهل عام ١٢٢هـ (٧٤٠م) ليس محققاً تماماً، ذلك أن زيداً فيما يظهر قد اضطر أن يسارع بفتنته قبل أجلها الذى جعله بينه وبين أهل الكوفة ببضعة أيام نظراً لبراعة رجال الشرطة السرية.

والقول بأن تاريخ هذه لفتنة كان سنة ١٢١ أو حتى سنة ١٢٠ فيه على ما نظن اغفال للمدة الطويلة التى كان يقتضيها التجهز لهذه الفتنة.

ويرجع الفضل فى نجاح شرطة الأمويين، ولم يكن عددهم كبيراً بأى حال، إلى ما عرف عن متآمرى أهل الكوفة من تردد. فقد التأم شملهم فى المسجد

الجامع وتركوا الباب يغلق دونهم، ولم يؤازروا زيداً في جهوده لاطلاق سراحهم مع أن هذه الجهود كادت تكلل بالنجاح عدة مرات، ولم يكن بين هؤلاء المتآمرين شيء من التجانس، وإنما كانوا نفراً من الساخطين على الحكومة، بل كان بينهم بعض الخوارج، ثم إنه لم ينصر زيداً أحد ممن أجمعوا على أن يلى الخلافة رجل من العلويين.

أما الرواية التى تقول أن كثيراً من الذين تخلوا عنه لجأوا إلى أخيه محمد الباقر بوصفه الإمام الحق فلعلها تأثرت بالاضطراب الذى ساد صفوف الشيعة بعدئذ قبل أوانه، زد على ذلك أن زيداً نفسه لم يكن زعيم الحركة الحقيقى، ذلك أنه لم يأت الكوفة بمحض رغبته، بل كان فى الرصافة مع الخليفة هشام بن عبد الملك (انظر هذه المادة) وكان قد لجأ إليه فى إبان حاجته وعوزه، وإذا بالوالى يستدعيه إلى الكوفة ليسأله فى قضية تتصل بدين عليه، وكان زيد نفسه يخامره الشك فى نجاح ما دبر، وما أن انقضت أربعة أشهر حتى أراد أن ينسحب تماماً من تنفيذ خطته، وبلغ القادسية فى طريقه الى المدينة مسقط رأسه عندما استماله الى العودة بعض الشيعة وكانوا قد هرعوا وراءه.

وقد بقيت بعض الكتابات والمقتطفات التى نسبت الى زيد، وهى تتضمن تفاسير لبعض آيات القرآن ومسألتى الإمام والحج، وتشمل بصفة خاصة مجملاً كاملاً للفقه، ولكنها فى صورتها الحالية تعرض لمسائل فى الدين والشعائر والشريعة والسياسة تناقض بعضها بعضاً في كثير من الأحيان، كما تناقض المبادىء التى قالت بها كتب الزيدية المتأخرة والتى صدق عليها زيد. على أنها تعد شواهد على أنه كان على حظ من العلم. ولاينبغى لنا أن نحفل كثيراً بلقب التشريف الذى لقب به زيد، وهو «حليف القرآن» ولا بالرواية الزيدية التى تقول إن أبا حنيفة درس عليه،وأيد فتنته بالفتوى والمال، ومع ذلك فإننا نستدل من هذين الشاهدين على الخبرة الفقهية التى دافع بها أبرع دفاعاً عن قضايا آل

الحسين فى مطالبتهم آل الحسن بميراث بيت على .

وذاع صيت زيد فى أغانى المغنين، بل إن هذا الصيت يرد الى تاريخ مبكر يرجع إلى السيد الحميرى (انظر هذه المادة) الذى ذكر زيداً كما ذكرته كتب «المقاتل» القديمة. وقد حاولت القصص أن تكفر عن المعاملة المشهنة التى عومل بها جثمانه، فساقت حكايات عن كراماته، على أننا نستطيع أن نقول بصفة عامة إن الأوصاف التى ذكرتها هذه الحكايات كانت معتدلة بعض الشيء تمشياً مع مذهب الزيدية. وكان زيد ما زال فى الحلقة الخامسة من عمره عند وفاته، وكان أميل الى البدانة شأنه فى ذلك شأن العلويين جميعاً، وكانت أمه أمة، وقد تزوج هو نفسه ريطة حفيدة محمد بن الحنفية (انظر هذه المادة) فولدت له يحيى الذى اشترك فى الفتنة، واستطاع أن يهرب الى خراسان حيث كان أنصار زيد يعملون. ولكنه لقى نفس المصير الذى لقيه أبوه عام ١٢٥ أو ١٢٦هـ (٧٤٣ أو ٧٤٤م) وقد قال داعى رأس الزنج (انظر هذه لامادة) أنه حفيد يحيى هذا. والحق أن سلالة زيد كانت قد انقرضت قبيل ذلك، ولم يكن احفاد زيد فى ذلك الوقت إلا نسل أخوات يحيى غير الأشقاء، وكانت أمهم أمة، وتزوج زيد فى الكوفة بامرأة من بنى فرقد وأخرى من أزد رغبة منه فى اكتساب أنصار له، وقد ولدت له الثانية بنتاً، إلا أنها ماتت قبله .



ملحق رقم (٢) شخصيات

«الأطروش» أبو محمد الحسن بن على بن الحسن على بن عمر الأشرف بن على زين العابدين (انظر على بن الحسين):

ولد بالمدينة حوالى عام ٢٣٠هـ/٨٤٤م من جارية خرسانية وتوفى فى شعبان عام ٣٠٤ (بداية عام ٩١٧م) بمدينة آمل وهو عامل على طبرستان، وكان يلقبه الزيدية وأهل الدين بالإمام الناصر الكبير.

ووفد الأطروش على طبرستان فى عهد الداعى الكبير الحسن بن زيد العلوى (انظر الحسن بن زيد بن محمد) . ولما استراب فيه أخوه وخلفه القائم بالحق محمد بن زيد سعى فى إقامة ملك له فى المشرق مستعيناً أول الأمر بعامل نيسابور محمد بن عبد الله الخجستانى الذى أخذ جرجان من القائم. ولكن الوشاة أثاروا الشك فى مسلك الأطروش فسجنه الخجستانى بنيسابور أو جرجان ونكل به حتى آذى سمعه، ومن ثم لقب بالأطروش. ولما أطلق سراحه عاد إلى القائم محمد، وفى عام ٢٨٧ أو ٢٨٨هـ ويقول أبو الفرج الاصفهانى (مقاتل الطالبين، طهران ١٣٠٧هـ، ص ٢٢٩، س١٤) عام ٢٨٩هـ (٩٠٠-٩٠١م) لحقت به الهزيمة هو ومحمد القائم عند جرجان على يد محمد بن هرون الذى كان فى ذلك الوقت نصيراً لاسماعيل بن أحمد السامانى (انظر هذه المادة). وتوفى القائم متأثراً بجرح أصابه، وفر الأُطروش ثم التجأ الى دامغان والرى وغيرهما من البلدان، وظهر ثانية عند وفاة الخليفة المعتضد عام ٢٨٩هـ (٩٠٢م) وخاصة لما ناصره محمد بن هارون الذى اشتبك فى قتال مع السامانيين،وأحسن جستان الديلم لقاء الأطروش (أو ولده وهسودان كما يقول فاسمر ج٣، ص١٦٥ وما بعدها) وكانت صداقة الجستانية للأطروش - وترجع إلى عهدا لقائم - متقلبة كنظرتهم الى الإسلام الذى اعتنقه جدهم المرزبان قبل ذلك بقرن من الزمان .

ولذلك لم تأت الحروب التى اشتركوا فيها بنتيجة ما، وأدرك الأطروش أنه يحتاج قبل كل شيء إلى حزب يعتمد عليه ويضمن له مناصرة الجستانية.

ومن ثم قام بنشر الدعوة للدين الإسلامى بين قبائل الديلم التى تقطن ساحل بحر قزوين والتى لم تكن قد اعتنقت الإسلام بعد، ومنها قبيلة جيلان، وحرص على أن تكون دعوته تلك مصطبغة بالصبغة الشيعية، كما أبتنى المساجد، وفى عام ٢٩٨هـ (٩١٠م) بعث أحمد بن إسماعيل السامانى بمحمد بن صعلوك الى طبرستان، وأمره أن يستطلع أحوال الدولة الجديدة، ولكن جيشاً خراسانياً متفوقاً فى العدد والعدة أوقع به الديلم بقيادة الأطروش عند شالوس، وكان ذلك فى جمادى الأولى عام ٣٠١هـ (ديسمبر ٩١٣م) وغرق فريق كبير من الفارين فى البحر،و التجأ الفريق الآخر وقائده أبو الوفاء خليفة بن نوح الى حصن شالوس، ثم سلموا أنفسهم إلى الأطروش عندما أمنهم على حياتهم، ولكن سرعان ما أعمل فيهم القتل قائده وزوج ابنته الحسن بن القاسم بن الحسن بن على بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب.

وذهب الأطروش فى الوقت نفسه إلى آمل تلبية لنداء السكان المروعين، وسكن القصر الذى كان لمحمد القائم، واستطاع أن يوطد أقدام عماله من شالوس الى سارية دون أن يقف السامانيون فى وجهه، لأن أحمد بن إسماعيل كان قد قتل فى ذلك الوقت ونصرا ابنه مشغول عنه بتوطيد سلطانه الذى كان ينازعه عليه أفراد أسرته ووجوه قومه. وتحالف مع الأطروش الاسبهيد شروين بن رستم من بيت باوند الذى كان عدوا لدوداً للعلويين الأول.

وإذا نظرنا الى الماضى دلتنا الحوادث على أن قيام الدويلات العلوية لم يكن بالأمر السهل وعرفنا مقدار الصعوبة التى تعترض الأقارب منهم على العمل معاً. ولما كان الأطروش فى السبعين من عمره على الأقل عند دخوله آمل، وكان

أبناؤه غير أكفاء، تجددت العداوة التى كانت فيما سبق بينه وبين محمد القائم وأصبحت بينه وبين الحسن بن القاسم وثار الأخير على الأطروش مدة من الزمن، ولكن الاستياء العام أرغمه على الفرار الى الديلم، وكذلك رغب إليه الناس بتأثير كبرائهم، وهو على فراش الموت، أن يستخلف الحسن، وما أن توفى الأطروش حتى دانوا للحسن بالطاعة.

ولايعزى نهوض الأطروش إلى براعته فى استغلال النزاع السياسى القائم على شواطىء بحر قزوين فحسب، وإنما يعزى كذلك إلى ذكائه النادر. وكان شاعراً (انظر ملحق فهرس المخطوطات المجودة بالمتحف البريطانى الخاصة بعام ١٢٥٩ج٤: وهناك نماذج من شعره فى كتاب الإفادة فى تاريخ الأئمة السادة) ولكنه كان يعنى عناية خاصة بالعقائد والحديث والشريعة (انظر ابن النديم: الفهرست، ص ١٨٣، س.١، وما بعده) وقد وصل إلينا كتاب الإبانة بطريقة غير مباشرة، وهو يخالف شعائر أهل اليمن فى الدفن وفى بعض أمور صغيرة تتصل بالتوريث.

وكان الأطروش يرى أيضاً أن إيقاع يمين الطلاق ثلاث مرات متعاقبات ثلاث طلاقات فعلية، وبذلك ناقض الشيعة الإثنى عشرية الذين كانت آراؤهم معتبرة فى الشمال، وانضم ابن من أبنائه - وهو أبو الحسن على - إلى الاثنى عشرية فى الرأى، وكان الأطروش نفسه يتخذ طريقتهم فى غسل القدمين، وهو بطبيعة الحال مؤيد للشيعة فى عدم اعترافهم بأن مسح القدم المغطى بالخف يحل محل الغسل. ولم يتشدد كثيراً من أصحاب المذاهب الأخرى، وهو أمر نلاحظه من أغراضه فى السياسة والدعوة. وسميت الفرقة الناصرية باسمه وهى من الزيدية واندمجت فى القاسمية التى نشرها فى اليمن الإمام المهدى أبو عبد الله محمد وهو ابن الحسن بن القاسم الذى أشرنا إليه فى سياق المقال .

وتمكن الحسن بن لاقاسم الذى خلف الأطروش ، وهو المعروف بالداعى الصغير من غزو نيسابور عام ٣٠٨هـ (٩٢٠م) على يد ليلى بن نعمان وهو قائد قديم من قواد سلفه كما تمكن أيضاً من انفاذ جيش الى طوس، ولكنه قتل عام ٣١٦هـ (٩٢٨م) فى ذهابه من الرى لنجدة آمل التى كان قد احتلها أسفار ابن شيرويه الديلمى وأبو الحجاج مرداويج بن زيار، وكان يحد من سلطانه على الدوام ابنا الأطروش: إذ أخذ أبو القاسم جعفر بن الأطروش آمل عام ٣٠٦هـ (٩١٨م) بمساعدة محمد بن صعلوك عامل الرى كما استولى عليها مرة أخرى عام ٣١٢هـ (٩٢٥م) ولم تستقر فى حوزته فى المرتين إلا أمداً وجيزاً . وفى عام ٣١١هـ (٩٢٤م) استولى أخوه أبو الحسن أحمد على هذه المدينة./ وقد حارب ابنه أبو على حسين وأخوه وخلفه أبو جعفر خصماً للإمامية هو إسماعيل ابن جعفر الذى دس له السم عام ٣١٩هـ (٩٣١م) وفى الوقت نفسه أقام قريب آخر للأطروش نفسه أميراً وهو أبو فضل جعفر ولقب: «الثائر فى الله». وما أن انقضى عام ٣٢٠هـ (٩٣٢م) حتى تمكن من الاستيلاء على آمل مدة من الزمن، ساعده على ذلك سياسة التذبذب التى اتبعها فى الحرب بين وشمكير بن زيار وبين بنى بويه، وكان نجمهم آخذاً فى البزوغ، ومستعيناً بتدخل الحسن الفيروزانى وواحد من استندار القاذوسقانية الذين أغار عليهم مرة الداعي الكبير الحسن بن زيد.

وقد استطاعت هذه الولاية العلوية الشمالية المحافظة على كيانها فى جميع الأحوال بالرغم من الفتن الداخلية وتقلبها بين أيدى الأمراء الوطنيين الصغار أمثال بنى فيروزان، وخاصة ما كان بن كالى، والجستانية وبنى زيار والاسبهبد من بيت ناوند وبنى بويه والسامانيين إلا أن أهيمتها كانت تتفاوت ومساحتها تتغير على الدوام .

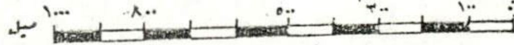
ودامت هذه الولاية أيضاً حتى عام ٥٢٠هـ (١١٢٦م) تقريباً وهى سنة وفاة

أبى طالب الصغير يحيى بن الحسين البطحانى بن المؤيد الذى لم يستطع أن يسود فى الديلم لمناهضة الحشاشين له .

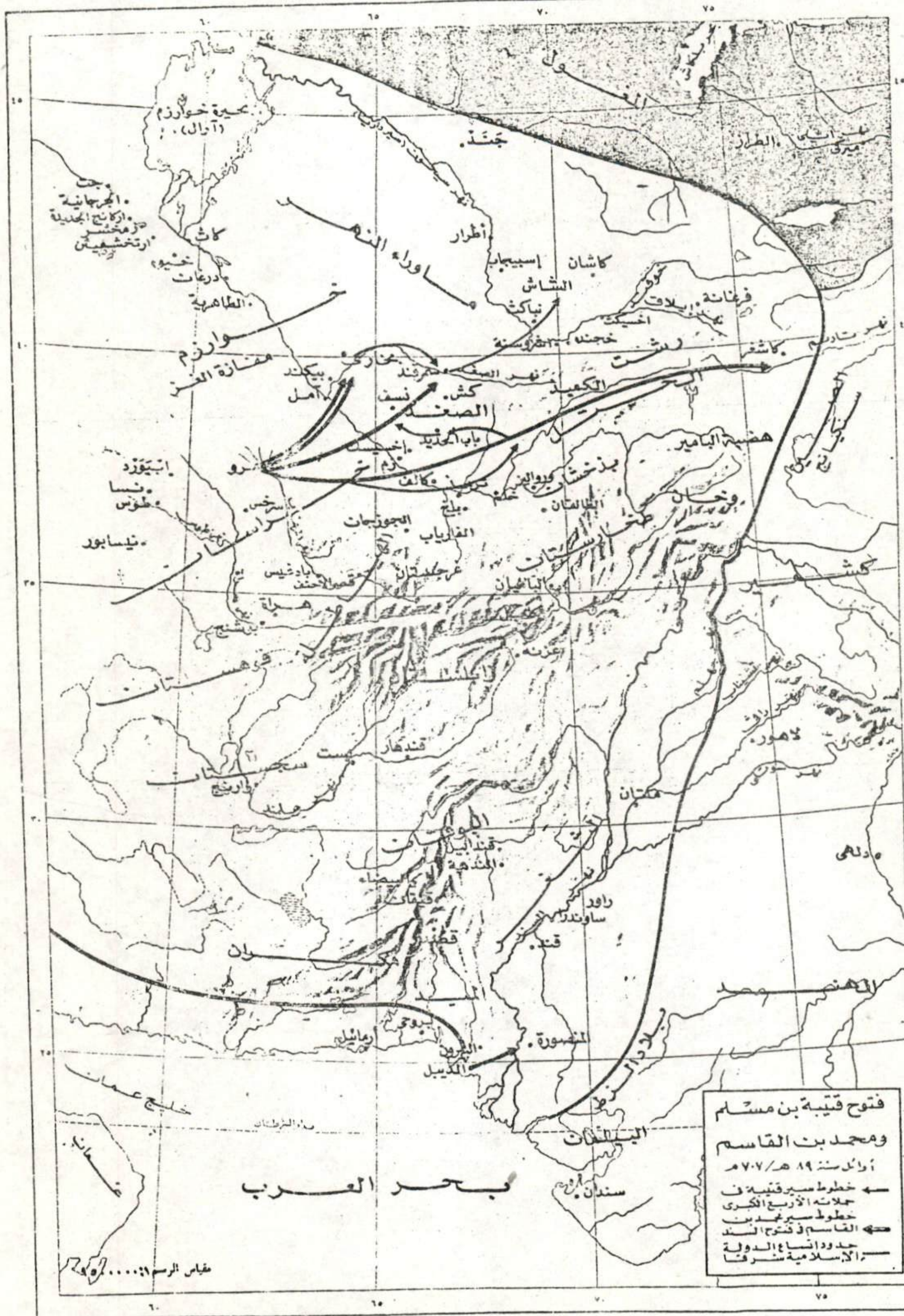
وليس لنا أن نسلم فى سهولة بأن أسرة كياحسينى التى يقال إنها من العلويين كانت من هذا الفرع، وهى الأسرة التى أقامت فى جيلان من نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) إلى نهاية القرن التاسع (الخامس عشر الميلادى) وكان أبو طالب أكبر أبناء أخى الإمام الناطق أبى طالب (انظر المصادر) الذى ولد عام ٣٤٠هـ/٩٥١ - وهو الذى كتب لنا أهم سيرة عن الأطروش لأنه قد اعتمد فيها على روايات شهود عيان أمثال أبيه) .



خريطة رقم (١) عن أطلس التاريخ العربي د. شوقي أبو خليل (موقع طبرستان)



علماء الحضارة العربية الإسلامية



فتوح قتيبة بن مسلم
ومحمد بن القاسم
أوائل سنة ٨٩ هـ/٧٠٧ م
خطوط سير قتيبة في حملاته الأربع الكبرى
خطوط سير محمد بن القاسم في فتوح السند
حدود اتساع الدولة الإسلامية شرقا
بحر العرب
خليج عمان
ما وراء النهر
خوارزم
مفازة الغز
الصغد
خراسان
طخارستان
قوهستان
سجستان
زابلستان
كرمان
بلاد السند
الهند
هضبة البامير
كشمير
جند
أطرار
إسبيجاب
كاشان
الشاش
فرغانة
إيلاق
أخسيكث
خجندة
أشروسنة
كاشغر
الطراز
بخارى
بيكند
سمرقند
نسف
كش
باب الحديد
ترمذ
مرو
سرخس
أبيورد
نسا
طوس
نيسابور
بلخ
الطالقان
الجوزجان
الفارياب
باذغيس
هراة
بست
قندهار
غزنة
البانيان
لاهور
ملتان
المنصورة
الديبل
أرمائيل
قنزبور
قصدار
الطاهرية
درغان
خيوة
كاث
بحيرة خوارزم
(آرال)
الدبيل
سندان
دلهي
مقياس الرسم ١:٠٠٠،٥٠٠،١٥